

ذَمُّ الكِبْرِ فِي الشَّرِيعَةِ الإِسْلَامِيَّةِ

تأليف
أبي عبد الرحمن
عماد بن أحمد بن عبد العظيم



دار الإمام البربهاري



ذَمُّ الْكِبْرِ

فِي الشَّرِيعَةِ الإِسْلامِيَةِ

تأليفُ

أَبِي عَبْدِ الرَّحْمن

عِمَاد بْن أَحْمَد بْن عَبْدِ الْعَظِيمِ



بسم الله الرحمن الرحيم

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م

رقم الإيداع

مقدمة المؤلف

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ به تعالى من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، إنه من يهدِ الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (آل عمران).

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ (النساء).

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ (الأحزاب).

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هديُ محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثمّ أمّا بعد:

فإن الكبر من الأخلاق المذمومة، ومن صفات أهل النار، ومن كبائر الذنوب التي توعد الله عليها بالعذاب الشديد يوم القيامة.

وأشر الكبر الذي فيه من يتكبر على العباد بعلمه، ويتعاظم في نفسه بفضيلته، فإن هذا لم ينفعه علمه، فإن من طلب العلم للآخرة كسره علمه، وخشع قلبه، واستكانت نفسه، وكان على نفسه بالمرصاد، فلا يفتر عنها بل يحاسبها كل وقت، ويتفقدها، فإن غفل عنها جمحت عن الطريق المستقيم وأهلكته، ومن طلب العلم للفخر والرياسة وبطر على المسلمين، وتحامق عليهم، وازدراهم فهذا من أكبر الكبر، ولا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، ولا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم[١].

والعجب كل العجب ممن يرى نفسه، أتراه بماذا رآها !.

إن كان بالعلم فقد سبقه العلماء، وإن كان بالتعبد فقد سبقه العباد، أو بالمال فإن المال لا يوجب بنفسه فضيلة دينية.

فإن قال:

قد عرفت ما لم يعرف غيري من العلم في زمني، فما علي ممن تقدم.

قيل له:

ما نأمرك يا حافظ القرآن أن ترى نفسك في الحفظ كمن يحفظ النصف.

ولا يا فقيه، أن ترى نفسك في العلم كالعامي.

إنما نحذر عليك أن ترى نفسك خيراً من ذلك الشخص المؤمن وإن قل علمه.

ومن تلمح خصال نفسه وذنوبها علم أنه على يقين من الذنوب والتقصير،

---

(١) «الكبائر» (ص٧٦) للذهبي.

وهو من حال غيره على شك.

فالذي يحذر منه الإعجاب بالنفس، ورؤية التقدم في أحوال الآخرة، والمؤمن الحق لا يزال يحتقر نفسه[1].

عباد الله قد كثر في زمننا اليوم أناس يرى أحدهم قدر نفسه فوق ما تتصوره الأفهام، ويجزم كل الجزم أنه رفيع المقام، رفعة كل رفيع معها تحت الأقدام، لا تذكر أمامه فاضلا إلا ضحك وهز رأسه متهكما ساخرا بما له من مقام وقديما قيل:

ومن جهلت نفسه قدره رأى غيره منه ما لا يرى

ومن علاماته أنك تجد صاحب الكبر لا يرغب قرب الفقراء منه، ولا يألف إلا الأغنياء، فالمتكبر لا يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه لأنه لا يقدر على ذلك بسبب كبره وعجبه، ولا يقدر على التواضع، وهو رأس أخلاق الأصفياء.

ولا يقدر المتكبر على ترك الحقد، ولا يقدر أن يدوم على الصدق، ولا يقدر على ترك الغضب، ولا على كظم الغيظ، ولا يسلم من احتقاره للناس، ولا يسلم من الغيبة والبهت، لأنه فيه من العظمة والعزة والكبرياء ما يحول بينه وبين ذلك.

أيظن هذا المتكبر أنه عزيز والله عليه غضبان، أو يظن أنه رفيع وهو في قاذورات المعاصي، إن العزة والرفعة لا يحصلان بالدعوى، وليس

---

(١) «صيد الخاطر» (ص٩٤).

حصولهما بيد مخلوق ولكنهما بيد الله وحده يمنحهما إلى من يسارعون إلى طاعة مولاهم.

وقد توعد الله تعالى المتكبرين في كتابه العزيز، وعلى لسان نبيه ﷺ لأن العظمة و الكبرياء لا يليقان إلا برب الأرباب.

وقد تسمى أخلاق الكبر كبرا أيضا لكونها مسببة عنه.

والكبر أقسام:

أحدها: الكبر عن بعض طاعة الله تعالى.

الثاني: الكبر عن متابعة رسول الله ﷺ.

الثالث: الكبر على العباد أن يرى أنه خير منهم، فينظر إليهم بعين الازدراء والأنفة والحقرية، وأن لا يقبل منهم الحق لعلمه أنه حق، فمن أمره بخير تكبر عن قبوله منه مع علمه أنه صواب، كما تكبرت اليهود عن متابعة رسول الله ﷺ وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، وكما تكبر إبليس على آدم مع علمه بأن الله تعالى فضله عليه.

وقد يحمل التكبر على المخلوق على التكبر على الخالق كما فعل إبليس إذ حمله التكبر على آدم على التكبر عن السجود، فمن رأى أنه خير من أخيه حقرية له وازدراء به أو رد الحق وهو يعرفه فقد تكبر على العباد.

ومن تعظم وأنف عن الذل والخضوع لطاعة الله فقد تكبر على الله تعالى، فأصل الكبر التعظيم، وحقيقته الأنفة والازدراء، ورد الحق مع العلم به[1].

(١) «مقاصد الرعاية لحقوق الله ﷻ» (ص١٤٠) للعز بن عبد السلام.

واعلم أن أصل الأخلاق المذمومة كلها الكبر والمهانة والدناءة، فالفخر والبطر والأشر والعجب والحسد والبغي والخيلاء والظلم والقسوة والتجبر والإعراض وإباء قبول النصيحة والاستئثار وطلب العلو وحب الجاه والرئاسة وأن يحمد بما لم يفعل وأمثال ذلك كلها ناشئة من الكبر.

وقد استعنت بالله ﷻ وقمت بعمل هذه الرسالة لعلي أحذر نفسي والمسلمين من الوقوع في هذا الداء العضال، والخلق الذميم.

وأسأل الله تعالى أن ينفع بهذه الرسالة الإسلام والمسلمين، وأن يجعل هذا العمل خالصـًا لوجهه الكريم.

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد ﷺ وآله وأصحابه أجمعين.

كتبه

أبو عبد الرحمن

عماد بن أحمد بن عبد العظيم

ت : ٠١٠٢٨٣٨٧٣٣٢

* * *

تعريف الكبر

الكبر لغة:

العظمة والتجبر والإثم الكبير[١].

تعريفه اصطلاحا:

الكبر هو الحالة التي يختص بها الإنسان من إعجابه بنفسه وذلك أن يرى نفسه أكبر من غيره وأعظم ذلك أن يتكبر على ربه بأن يمتنع من قبول الحق والإذعان له بالتوحيد والطاعة[٢].

قال ابن عثيمين:

«هو الترفع واعتقاد الإنسان نفسه أنه كبير، وأنه فوق الناس، وأن له فضلا عليهم»[٣].

قال الملا علي القاري:

«الكبر هو الإعراض عن الحق وتحقير الناس»[٤].

قلت: وفي صحيح مسلم (٩١) قوله ﷺ: **«الكبر بطر الحق وغمط الناس»**.

---

(١) «المعجم الوسيط» (٢/ ٧٧٣).

(٢) «فتح الباري» (١٠/ ٤٨٩). وقال: «الكبر بكسر الكاف وسكون الموحدة ثم راء قال الراغب: الكبر والتكبر والاستكبار متقارب».

(٣) «شرح رياض الصالحين» (١/ ٦٤٤).

(٤) «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (١٤/ ٤١٦).

والمعنى:

بطر الحق: يعني رده، وغمط الناس يعني احتقارهم وازدراءهم.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبِيَّ ﷺ - وَكَانَ رَجُلاً جَمِيلاً - فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنِّي رَجُلٌ حُبِّبَ إِلَيَّ الْجَمَالُ، وَأُعْطِيتُ مِنْهُ مَا تَرَى حَتَّى مَا أُحِبُّ أَنْ يَفُوقَنِي أَحَدٌ - إِمَّا قَالَ بِشِرَاكِ نَعْلِي. وَإِمَّا قَالَ بِشِسْعِ نَعْلِي - أَفَمِنَ الْكِبْرِ ذَلِكَ؟، قَالَ: **«لاَ، وَلَكِنَّ الْكِبْرَ مَنْ بَطَرَ الْحَقَّ، وَغَمَطَ النَّاسَ»**[(١)].

حكم الكبر

الكبر حرام وهو من الكبائر[(٢)].

عَنْ حَارِثَةَ بْنِ وَهْبٍ الْخُزَاعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: **«أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟، كُلُّ ضَعِيفٍ[(٣)] مُتَضَاعِفٍ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى الله لَأَبَرَّهُ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟، كُلُّ عُتُلٍّ[(٤)] جَوَّاظٍ[(٥)] مُسْتَكْبِرٍ»**[(٦)].

قال بدر الدين العيني:

«والمراد أن أغلب أهل الجنة هؤلاء كما أن أهل النار هؤلاء وليس المراد

(١) أخرجه أبو داود (٤٠٩٤)، وغيره بإسناد صحيح.

(٢) وقد عده الذهبي وغيره من الكبائر.

(٣) أي: هم كل ضعيف عن أذى الناس، أو عن المعاصي ملتزم الخشوع والخضوع.

(٤) الجافي الشديد الخصومة بالباطل وقيل الجافي الفظ الغليظ.

(٥) أي: جموح منوع أو ضخم مختال أو صياح مهدار.

(٦) أخرجه البخاري (٦٠٧١)، ومسلم (٢٨٥٣).

الاستيعاب في الطرفين وحاصله أن كل ضعيف من أهل الجنة ولا يلزم العكس وكذلك أهل النار»[1].

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: **«لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر،** قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا، ونعله حسنة، قال: **إن الله جميل يحب الجمال، الكبر: بطر الحق، وغمط الناس»**[2].

فائدة:

قوله ﷺ: **«لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»**.

اختلف في تأويله فذكر الخطابي فيه وجهين:

أحدهما:

أن المراد التكبر عن الإيمان فصاحبه لا يدخل الجنة أصلا إذا مات عليه.

والثاني:

أنه لا يكون في قلبه كبر حال دخوله الجنة، كما قال الله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ وهذان التأويلان فيهما بعد، فإن هذا الحديث ورد في سياق النهي عن الكبر المعروف وهو الارتفاع على الناس واحتقارهم ودفع الحق، فلا ينبغي أن يحمل على هذين التأويلين المخرجين له عن المطلوب.

---

(١) «عمدة القاري» (٣٣/ ٤٩٦).

(٢) أخرجه مسلم وقد تقدم.

بل الظاهر:

ما اختاره القاضي عياض وغيره من المحققين أنه لا يدخل الجنة دون مجازاة إن جازاه.

وقيل:

هذا جزاؤه لو جازاه، وقد يتكرم بأنه لا يجازيه. بل لا بد أن يدخل كل الموحدين الجنة، إما أولا وإما ثانيا بعد تعذيب بعض أصحاب الكبائر الذين ماتوا مصرين عليها.

وقيل:

لا يدخلها مع المتقين أول وهلة.

وأما: قوله ﷺ: **«لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من خردل من كبرياء»** فالمراد به دخول الكفار، وهو دخول الخلود، وقوله ﷺ: **«مثقال حبة»** هو على ما تقدم، وتقرر من زيادة الإيمان ونقصه[1].

كلام رائع لابن القيم عن الكبر

أول ذنب عصى الله به أبوا الثقلين: الكبر والحرص. فكان الكبر ذنب إبليس اللعين. فآل أمره إلى ما آل إليه. وذنب آدم على نبينا وعليه السلام: كان من الحرص والشهوة. فكان عاقبته التوبة والهداية، وذنب إبليس حمله على الاحتجاج بالقدر والإصرار. وذنب آدم أوجب له إضافته إلى نفسه،

---

(١) «شرح مسلم» (٢/ ٩١).

والاعتراف به والاستغفار.

فأهل الكبر والإصرار، والاحتجاج بالأقدار: مع شيخهم وقائدهم إلى النار إبليس. وأهل الشهوة: المستغفرون التائبون المعترفون بالذنوب، الذين لا يحتجون عليها بالقدر: مع أبيهم آدم في الجنة.

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: التكبر شر من الشرك فإن المتكبر يتكبر عن عبادة الله تعالى، والمشرك يعبد الله وغيره.

قلت – ابن القيم –:

ولذلك جعل الله النار دار المتكبرين.

كما قال تعالى في سورة الزمر وفي سورة غافر: ﴿ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ (غافر: ٧٦)، وفي سورة النحل: ﴿فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ (النحل: ٢٩) وفي سورة تنزيل: ﴿أليس في جهنم مثوى للمتكبرين﴾ (الزمر: ٦٠).

وأخبر أن أهل الكبر والتجبر هم الذين طبع الله على قلوبهم.

فقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ﴾ (غافر: ٣٥).

وقال ﷺ: **«لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»** رواه مسلم.

وقال ﷺ: **«الكبر بطر الحق. وغمط الناس»**.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ (النساء: ٤٨) تنبيها على أنه لا يغفر الكبر الذي هو أعظم من الشرك، وكما أن من تواضع لله رفعه، فكذلك من تكبر عن الانقياد للحق أذله الله ووضعه، وصغره وحقره. ومن

تكبر عن الانقياد للحق - ولو جاءه على يد صغير، أو من يبغضه أو يعاديه - فإنما تكبره على الله فإن الله هو الحق، وكلامه حق، ودينه حق، والحق صفته، ومنه وله، فإذا رده العبد وتكبر عن قبوله: فإنما رد على الله، وتكبر عليه. والله أعلم[١].

أقسام الكبر

قسم أهل العلم الكبر إلى ثلاثة أقسام:

أحدها:

الكبر عن بعض طاعة الله تعالى.

كما فعل إبليس إذ حمله التكبر على آدم على التكبر عن السجود.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (البقرة:٣٤).

قال ابن حجر الهيتمي:

«وَهُوَ أَفْحَشُ أَنْوَاعِ الْكِبْرِ، كَتَكَبُّرِ فِرْعَوْنَ وَنُمْرُودَ حَيْثُ اسْتَنْكَفَا أَنْ يَكُونَا عَبْدَيْنِ لَهُ تَعَالَى وَادَّعَيَا الرُّبُوبِيَّةَ»[٢].

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٣١٦).

(٢) «الزواجر عن اقتراف الكبائر» (١/ ١٧٧).

الثاني:

الكبر عن متابعة رسول الله ﷺ[1].

كما تكبرت اليهود عن متابعة رسول الله ﷺ وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة:١٤٦).

وعن سلمة بن الأكوع، أن رجلا أكل عند رسول الله ﷺ بشماله، فقال: كل بيمينك، قال: لا أستطيع، قال: لا استطعت، ما منعه إلا الكبر، قال: فما رفعها إلى فيه»[2].

الثالث:

الكبر على العباد أن يرى أنه خير منهم، فينظر إليهم بعين الازدراء والأنفة والحقرية.

وأن لا يقبل منهم الحق لعلمه أنه حق، فمن أمره بخير تكبر عن قبوله منه مع علمه أنه صواب، ، وكما تكبر إبليس على آدم مع علمه بأن الله تعالى فضله عليه.

وقد يحمل التكبر على المخلوق على التكبر على الخالق، فمن رأى أنه خير من أخيه حقرية له وازدراء به أو رد الحق وهو يعرفه فقد تكبر على

---

(١) **قال الهيتمي:** «وإما على رسوله بأن يمتنع من الانقياد له تكبرا جهلا وعنادا كما حكى الله ذلك عن كفار مكة وغيرهم من الأمم» «الزواجر عن اقتراف الكبائر» (١/ ١٧٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٢١).

العباد.

قال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ (الأعراف:١٢).

وقال تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ۝٧٥ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ (سورة ص).

وعند مسلم (٢٥٦٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى ها هنا، ويشير إلى صدره، ثلاث مرات، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»**.

قال ابن حجر الهيتمي:

«وإما على العباد بأن يستعظم نفسه ويحتقر غيره ويزدريه فيأبى على الانقياد له أو يترفع عليه ويأنف من مساواته، وهذا وإن كان دون الأولين إلا أنه عظيم إثمه أيضا لأن الكبرياء والعظمة إنما يليقان بالملك القادر القوي المتين دون العبد العاجز الضعيف، فتكبره فيه منازعة لله في صفة لا تليق إلا بجلاله»[1].

(١) «الزواجر عن اقتراف الكبائر» (١/ ١٧٨).

الفرق بين الكبر والإعجاب

الكبر:

هو الترفع واعتقاد الإنسان نفسه أنه كبير، وأنه فوق الناس، وأن له فضلا عليهم.

والإعجاب:

أن يرى الإنسان عمل نفسه فيعجب به، ويستعظمه ويستكثره .

فالإعجاب يكون في العمل، والكبر يكون في النفس، وكلاهما خلق مذموم[١].

قال العز بن عبد السلام:

«والكبر له أسباب من جملتها العجب وهو أكبرها، وكذلك يطلق الكبر على العجب، لأنه سبب عنه ولا يتكبر إلا من جهل قدرة وعظمة ربه»[٢].

قال الماوردي:

الكبر يكون بالمنزلة، والعجب يكون بالفضيلة.

فالمتكبر: يجل نفسه عن رتبة المتعلمين.

والمعجب: يستكثر فضله عن استزادة المتأدبين.

فلذلك وجب تقديم القول فيهما بإبانة ما يكسبانه من ذم، ويوجبانه من لوم.

---

(١) «شرح رياض الصالحين» (١/ ٦٤٤).

(٢) «مقاصد الرعاية لحقوق الله» (ص١٤٠) للعز بن عبد السلام.

أما الكبر:

فيكسب المقت ويلهي عن التألف ويوغر صدور الإخوان، وحسبك بذلك سوءا عن استقصاء ذمه.

وأما الإعجاب:

فيخفي المحاسن ويظهر المساوئ ويكسب المذام ويصد عن الفضائل[١].

دليل ذم الكبر:

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: **«لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**، قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا، ونعله حسنة، قال ﷺ: **إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس»** تقدم تخريجه.

ودليل ذم العجب:

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَوْ قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ: **«بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ إِذْ خَسَفَ الله بِهِ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»**[٢].

وعن عدي بن أرطأة، قال: كان الرجل من أصحاب النبي ﷺ إذا زكي قال: اللهم لا تؤاخذني بما يقولون، واغفر لي ما لا يعلمون»[٣].

---

(١) «أدب الدنيا والدين» (ص٢٩١).

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٨٩)، ومسلم (٢٠٨٨).

(٣) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٧٦١) بإسناد صحيح.

الفرق بين الكبر والتيه

الكبر:

هو إظهار عظم الشأن وهو في صفات الله تعالى مدح لأن شأنه عظيم، وفي صفاتنا ذم لأن شأننا صغير وهو أهل للعظمة ولسنا لها بأهل.

والتيه:

أصله الحيرة والضلال، وإنما سمي المتكبر تائها على وجه التشبيه بالضلال والتحير، ولا يوصف الله به، والتيه من الأرض ما يتحير فيه وفي القرآن ﴿يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ (المائدة:٢٦) أي يتحيرون[١].

الفرق بين الكبر والزهو

الكبر:

هو إظهار عظم الشأن، وهو فينا خاصة رفع النفس فوق الاستحقاق.

والزهو:

على ما يقتضيه الاستعمال رفع شئ إياها من مال أو جاه وما أشبه ذلك، ألا ترى أنه يقال زها الرجل وهو مزهو كأن شيئا زهاه أي رفع قدره عنده، وهو من قولك: زهت الريح الشئ إذا رفعته، والزهو التزيد في الكلام[٢].

---

(١) «الفروق اللغوية» (ص ٤٤٤) لأبي هلال العسكري.

(٢) «الفروق اللغوية» (ص ٤٤٥) لأبي هلال العسكري.

وتقدم تعريف الكبر.

الفرق بين الكبر والجبر

الجبر:

هو التعاظم مع القهر، والجبروت أبلغ من الجبر، لأن الواو والتاء للمبالغة، كالملك والملكوت.

قال النووي:

«الجبروت هو الكبر والتعظم والارتفاع والقهر، والجبار هو المتكبر الشرس سيئ الخلق»[١].

ويقال أيضا للقاهر غيره: جبار.

كما قال تعالى: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾.

ونقل ابن كثير عن أبي عمران الجوني وقتادة أنهما قالا:

آية الجبابرة القتل بغير حق[٢].

والكبر أعم من الجبر.

---

(١) «تحرير التنبيه» (ص٣٥٥).

(٢) كما في «تفسيره».

الفرق بين المهابة والكبر

المهابة:

أثر من آثار امتلاء القلب بعظمة الله ومحبته وإجلاله، فإذا امتلأ القلب بذلك حل فيه النور، ونزلت عليه السكينة، وألبس رداء الهيبة، فاكتسى وجهه الحلاوة والمهابة، فأخذ بمجامع القلوب محبة ومهابة، فحنت إليه الأفئدة، وقرت به العيون، وأنست به القلوب، فكلامه نور، ومدخله نور، ومخرجه نور، وعلمه نور، إن سكت علاه الوقار، وإن تكلم أخذ بالقلوب والأسماع.

وأما الكبر:

فأثر من آثار العجب والبغي من قلب قد امتلأ بالجهل والظلم، ترحلت منه العبودية ونزل عليه المقت، فنظره إلى الناس شزر، ومشيه بينهم تبختر، ومعاملته لهم معاملة الاستيثار لا الإيثار، ولا الإنصاف، ذاهب بنفسه تيها، لا يبدأ من لقيه بالسلام، وإن رد عليه رأى أنه قد بالغ في الإنعام عليه، لا ينطلق لهم وجهه، ولا يسعهم خلقه، ولا يرى لأحد عليه حقا، ويرى حقوقه على الناس، ولا يرى فضلهم عليه، ويرى فضله عليهم، ولا يزداد من الله إلا بعدا، ولا من الناس إلا صغارا وبغضا[1].

---

(١) انظر «الروح» (ص٢٣٥).

الفرق بين الصيانة والتكبر

أن الصائن لنفسه:

بمنزلة رجل قد لبس ثوبا جديدا نفى البياض ذا ثمن فهو يدخل به على الملوك فمن دونهم فهو يصونه عن الوسخ والغبار والطبوع وأنواع الآثار إبقاء على بياضه ونقائه فتراه صاحب تعزز وهروب من المواضع التي يخشى منها عليه التلوث فلا يسمح بأثر ولا طبع ولا لوث يعلو ثوبه وإن أصابه شيء من ذلك على غرة بادر إلى قلعة وإزالته ومحو أثره وهكذا الصائن لقلبه ودينه تراه يجتنب طبوع الذنوب وآثارها فإن لها في القلب طبوعا وآثارا أعظم من الطبوع الفاحشة في الثوب النقي للبياض ولكن على العيون غشاوة أن تدرك تلك الطبوع فتراه يهرب من مظان التلوث ويحترس من الخلق ويتباعد من تخالطهم مخافة أن يحصل لقلبه ما يحصل للثوب الذي يخالط الدباغين والذباحين والطباخين ونحوهم.

بخلاف صاحب العلو:

فإنه وإن شابه هذا في تحرزه وتجنبه فهو يقصد أني على رقابهم ويجعلهم تحت قدمه فهذا لون وذاك لون[1].

---

(١) انظر «الروح» (ص٢٣٦).

نصيحة لطلاب العلم والعلماء

الحامل على التكبر:

هو اعتقاد كمال المتكبر تميزه على الغير بعلم أو عمل أو نسب أو مال أو جمال أو جاه أو قوة أو كثرة أتباع.

فالتكبر أسرع إلى العلماء الذين لم يمنحوا نور التوفيق منه إلى غيرهم، لأن الواحد منهم يرى غيره بالنسبة إليه كالبهيمة فيقصر في حقوقه التي طلبها الشارع منه كالسلام والعيادة والبشر، ويطلب منه أن لا يخل بشيء من حقوقه لمحبته الترفع عليه.

وفاعل ذلك أجهل الجاهلين لأنه جهل مقدار نفسه وربه، وخطر الخاتمة، وعكس الموضوع.

إذ من شأن العلم أن يوجب مزيد الخوف والتواضع لعظم حجة الله عليه بالعلم وتقصيره في شكر نعمته، لكن سبب ذلك أن علمه إما يرجع إلى الدنيا، أو لأنه لم يخلص النية فيه فخاض فيه على غير وجهه فأنتج له تلك القبائح.

وكذلك العلماء الذين ظهرت عليهم سيما الصالحين يسرع إليهم الكبر، لكن الناس يترددون إليهم بقضاء مآربهم والمبالغة في إكرامهم فيرون حينئذ أنهم أرفع وأحق بأن يكون الناس دونهم لعدم وصولهم إلى صور أعمالهم، وما دروا أن ذلك ربما يكون سببا لسلبهم.

فالجاهل العامي إذا تواضع وذل هيبة لله وخوفا منه فقد أطاع بقلبه فهو

أطوع من العالم المتكبر والعابد المعجب[1].

أسباب تكبر بعض المتعلمين بعلمهم

فإن قلت: فما بال بعض الناس يزداد بالعلم كبرا وأمنا؟.

فاعلم أن لذلك سببين:

أحدهما:

أن يكون اشتغاله بما يسمى علما وليس علما حقيقيا، وإنما العلم الحقيقي ما يعرف به العبد ربه ونفسه وخطر أمره في لقاء الله، وهذا يورث الخشية والتواضع دون الكبر والأمن.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَـٰٓؤُاْۗ﴾ فأما ما وراء ذلك كعلم الطب والحساب واللغة والشعر والنحو وفصل الخصومات وطرق المجادلات فإذا تجرد الإنسان لها حتى امتلأ منها امتلأ بها كبرا ونفاقا وهذه بأن تسمى صناعات أولى من أن تسمى علوما بل العلم هو معرفة العبودية والربوبية وطريق العبادة وهذه تورث التواضع غالبا.

السبب الثاني:

أن يخوض العبد في العلم وهو خبيث الدخلة رديء النفس سيء الأخلاق فإنه لم يشتغل أولا بتهذيب نفسه وتزكية قلبه بأنواع المجاهدات ولم يرض نفسه في عبادة ربه فبقي خبيث الجوهر فإذا خاض في العلم أي علم كان

---

(١) «الزواجر عن اقتراف الكبائر» (١/ ١٨٢).

صادف العلم من قلبه منزلا خبيثا فلم يطب ثمره ولم يظهر في الخير أثره.

وقد ضرب وهب لهذا مثلا فقال العلم كالغيث ينزل من السماء حلوا صافيا فتشربه الأشجار بعروقها فتحوله على قدر طعومها فيزداد المر مرارة والحلو حلاوة فكذلك العلم تحفظه الرجال فتحوله على قدر هممها وأهوائها فيزيد المتكبر كبرا والمتواضع تواضعا وهذا لأن من كانت همته الكبر وهو جاهل فإذا حفظ العلم وجد ما يتكبر به فازداد كبرا وإذا كان الرجل خائفا مع جهله فازداد علما علم أن الحجة قد تأكدت عليه فيزداد خوفا وإشفاقا وذلا وتواضعا[1].

العلماء والعباد في آفة الكبر على ثلاثة درجات

الأولى:

أن يكون الكبر مستقراً في قلب الإنسان منهم، فهو يرى نفسه خيراً من غيره، إلا أنه يجتهد ويتواضع، فهذا في قلبه شجرة الكبر مغروسة، إلا أنه قد قطع أغصانها.

الثانية:

أن يظهر لك بأفعاله من الترفع في المجالس، والتقدم على الأقران، والإنكار على من يقصر في حقه، فترى العالم يصعر خده للناس، كأنه معرض عنهم، والعابد يعيش ووجهه كأنه مستقذر لهم، وهذان قد جهلا ما أدب الله به نبيه ﷺ، حين قال: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾

---

(١) «إحياء علوم الدين» (٣/ ٣٤٨).

(الشعراء: ٢١٥).

الدرجة الثالثة:

أن يظهر الكبر بلسانه، كالدعاوى والمفاخر، وتزكية النفس، وحكايات الأحوال في معرض المفاخرة لغيره، وكذلك التكبر بالنسب، فالذي له نسب شريف يستحقر من ليس له ذلك النسب وإن كان أرفع منه عملاً[١].

كيفية الخلاص من مرض الكبر وعلاجه

يتعين على كل إنسان أراد الخلاص من ورطة الكبر وثمرته القبيحة، إذ هو من المهلكات، ولا يخلو أحد من الخلق عن شيء منه، وإزالته فرض عين، وهي لا تمكن بمجرد التمني، بل بالمعالجة باستعمال أدويته النافعة في إزالته من أصله.

الدواء الأول:

أن يعرف نفسه حق المعرفة بأن يتأمل ما أشار إلى بدايته من أذل الأشياء وأحقرها وأقذرها - وهو التراب ثم المني -، ووسطه من التأهل لاكتساب العلوم والمعارف وحيازة المناصب والمراتب، ونهايته من الزوال والفناء والعود إلى مثل بدايته ثم إعادته إلى ذلك الموقف الأكبر ثم إلى الجنة أو إلى النار[٢].

كقوله تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن

(١) «مختصر منهاج القاصدين » (ص٢٢٧).

(٢) «الزواجر عن اقتراف الكبائر» (١/ ١٨٢).

نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾ (عبس:١٧ : ٢٤).

وقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا﴾ (سورة الإنسان:١ :٤).

وقد ورد عن السلف جملة من الآثار ستأتي في ثنايا البحث بهذا المعنى:

عن أنس بن مالك، قال: كان أبو بكر يخطبنا فيذكر بدء خلق الإنسان حتى إن أحدنا ليقذر ويقول خرج من مجرى البول مرتين»[١].

عن الحسن، قال: «كيف يتكبر من خرج من سبيل البول مرتين»[٢].

وفي رواية:

قال: العجب لابن آدم يغسل يده بالخرء مرتين، ثم يتكبر يعارض الله عز وجل جبار السماوات والأرض[٣].

الدواء الثاني:

تدريب النفس على التواضع، والاتصاف بصفات التواضع كما كان يفعل الصحابة ومن بعدهم:

---

(١) **صحيح:** أخرجه ابن أبي شيبة (١٣/ ٢٦١)، وابن أبي الدنيا في «التواضع والخمول» (٢٠٠).

(٢) أخرجه المعافى بن عمران في «الزهد» (١٠٥) بإسناد صحيح.

(٣) أخرجها ابن أبي الدنيا في «التواضع والخمول» (٢٠٩) بإسناده.

عن عبد الله بن حنظلة، أن عبد الله بن سلام مر في السوق وعليه حزمة من حطب، فقيل له: أليس الله قد أعفاك عن هذا ؟، قال: بلى، ولكن أردت أن أدفع به الكبر، سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر»** إسناده ثابت سيأتي تخريجه.

وعَنْ نَافِعِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: يَقُولُونَ لِي: فِيَّ التِّيهُ، وَقَدْ رَكِبْتُ الْحِمَارَ، وَلَبِسْتُ الشَّمْلَةَ، وَقَدْ حَلَبْتُ الشَّاةَ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ فَعَلَ هَذَا، فَلَيْسَ فِيهِ مِنَ الْكِبْرِ شَيْءٌ»**[(١)].

عن عبد الله بن شداد بن الهاد، قال: «من لبس الصوف، واعتقل العنز، وركب البعير، وأجاب دعوة الرجل الدون، فقد برئ من الكبر»[(٢)].

قال العز بن عبد السلام:

«وكذلك يزجرها عن إجابة الداعي وإن كان عبدا أو فقيرا وكذلك عيادة الضعفاء والفقراء وإن كان أرفع منهم في حسبه ونسبه وكذلك لا يأنف من الانتساب إلى أصله وإن كان دنيا وكذلك لا يأنف من لبس الخشن من الثياب وأكل الخشن من الطعام ومن جميع ما يأنف منه الجبارون والمتكبرون وإذا شك في نفسه هل تواضعت أم لا فليمتحنها بهذه الأسباب فإن أنفت منها واستكبرت عنها فهو باق على كبره متوهم أنه صار من أهل التواضع وقد جرب عبد الله بن سلام رضي الله عنه نفسه في ذلك بأن حمل حزمة حطب مع كثرة غلمانه وأتباعه تجربة لنفسه»[(٣)].

---

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٥/ ٢٠٦)، والترمذي (٢٠٠١) بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه المعافى بن عمران في «الزهد» (١٠٣) بإسناد صحيح.

(٣) «مقاصد الرعاية لحقوق الله» (ص١٤٨).

وأخرج أحمد في «الزهد» (ص١٥٨) بإسناد صحيح عن قزعة، قال: رأيت علي ابن عمر رَحِمَهُ اللَّهُ ثيابا خشبة، فقيل:أو خشنة، فقلت: يا أبا عبد الرحمن، إني قد أتيتك بثوب لين مما يصنع بخراسان فتقر عيني إن أراه عليك، فإن عليك ثيابا خشبة أو خشنة، قال: أرنيه حتى أنظر إليه، قال: فلمسه بيده، وقال: أحرير هو؟، قلت: لا، إنه من قطن، قال: إني أخاف إن أنا لبسته أخاف أن أكون مختالا فخورا، والله لا يحب كل مختال فخور».

الدواء الثالث:

التذلل لله، والانكسار له.

عن يحيى بن جعدة، قال: من وضع وجهه لله ساجدا فقد بريء من الكبر»[١].

وفي رواية:

من وضع جبينه لله ساجدا، فليس بمتكبر، وقد برئ من الكبر.

وعن عكرمة، أنه قال: ضع أنفك حتى يخرج منه الرغم، قلت: ما الرغم؟، قال: الكبر»[٢].

الدواء الرابع:

من اعتراه الكبر من جهة النسب، فليعلم أن هذا تعزز بكمال غيره، ثم يعلم أباه وجده، فإن أباه القريب نطفة قذرة، وأباه البعيد تراب.

---

(١) أخرجه وكيع في «الزهد» (٣٥٠)، وابن الجعد في «مسنده» (١٧٣٧)، وهناد في «الزهد» (٢/ ٤٢٤)، وغيرهما بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه عبد الرزاق (٢/ ١٨١) بإسناد حسن لحال الحكم بن أبان العدني.

ومن اعتراه الكبر بالجمال فلينظر إلى باطنه نظر العقلاء، ولا ينظر إلى ظاهره نظر البهائم.

ومن اعتراه من جهة القوة، فليعلم أنه لو آلمه عرق عاد أعجز من كل عاجز، وإن شوكة دخلت في رجله لأعجزته، وبقة لو دخلت في أذنه لأقلقته.

ومن تكبر بالغنى، فإذا تأمل خلقا من اليهود وجدهم أغنى منه، فأف لشرف تسبقه به اليهود، ويستلبه السارق في لحظة، فيعود صاحبه ذليلا.

ومن تكبر بسبب العلم، فليعلم أن حجة الله على العالم آكد من حجته على الجاهل، وليتفكر في الخطر العظيم الذي هو بصدده، فإن خطره أعظم من خطر غيره، كما أن قدره أعظم من قدر غيره[١].

الدواء الخامس:

وليعلم أن الكبر لا يليق إلا بالله تعالى، وأنه إذا تكبر صار ممقوتا عند الله بغيضا عنده، وقد أحب الله تعالى منه أن يتواضع، وكذلك كل سبب يعالجه بنقيضه، ويستعمل التواضع.

ففي الحديث الصحيح: «**العز إزاره، والكبرياء رداؤه، فمن ينازعنى عذبته**».

الدواء السادس:

تذكر عاقبة التكبر والغرور:

ففي صحيح مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا**

(١) «مختصر منهاج القاصدين» (ص٢٥١).

يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر».

وثم عقوبات أخرى كثيرة للمتكبرين، ستأتي إن شاء الله.

خصال المتكبر

الأولى:

تصعير الوجه(١):

لذلك نهى عنه الله ﷻ في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ (سورة لقمان:١٨).

قال ابن كثير:

«لا تُعرِضْ بوجهك عن الناس إذا كلمتهم أو كلموك، احتقارًا منك لهم، واستكبارًا عليهم ولكن أَلِنْ جانبك، وابسط وجهك إليهم»(٢).

الثانية:

التبختر والتعالي في المشية:

وهو محرم لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (سورة لقمان:١٨).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾

---

(١) ميل العنق، والإشاحة بالوجه عن النظر كبرا.

(٢) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٣٣٨).

(الإسراء:٣٧: ٣٨).

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: **«مَنْ تَعَظَّمَ فِي نَفْسِهِ، أَوْ اخْتَالَ فِي مِشْيَتِهِ، لَقِيَ الله وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ»**[1].

الثالثة:

الترفع عن مجالسة من هو أدنى منه:

كما تكبر المشركون من الجلوس مع الفقراء من أصحاب الرسول ﷺ.

أخرج مسلم (١٧٨٤) عن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كنا مع النبي ﷺ ستة نفر، فقال المشركون للنبي ﷺ: اطرد هؤلاء، لا يجترؤن علينا، قال: وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست أسميهما، فوقع في نفس رسول ﷺ ما شاء الله أن يقع فحدث نفسه فأنزل الله ﷻ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾.

ويدخل في الترفع عن المجالسة الترفع عن الزيارة، لأن من ترفع عن مجالسة شخص تكبرا ترفع عن زيارته[2].

الرابعة:

الترفع عن السلام أو مصافحة من هو أدنى منه منزلة في المال أو الجاه أو نحو ذلك، احتقارا له.

---

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٥٤٩)، والخرائطي في «مساوئ الأخلاق» (٢/ ٨٣)، وغيرهما بسند صحيح.

(٢) «مختصر منهاج القاصدين» (ص٢٣٢).

الخامسة:

أن يمشي ويمشي أتباعه خلفه إذا أراد التكبر:

لذلك كان السلف يكرهون أن توطأ أعقابهم خوفا على أنفسهم.

عَنْ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: كَانُوا يَكْرَهُونَ أَنْ تُوطَأَ أَعْقَابُهُمْ[١].

عن علقمة، قال: قيل له حين مات عبد الله رضي الله عنه: لو قعدت فعلمت الناس السنة، فقال: أتريدون أن يوطأ عقبي؟[٢].

وعن يزيد بن حازم، قال: قام الحسن من الجامع، فاتبعه ناس، فالتفت إليهم وقال: إن خفق النعال حول الرجال قلما يلبث الحمقى[٣].

السادسة:

يكره للرجل الركوب ومعه رجاله يمشون إذا أراد به التكبر[٤].

السابعة:

حبه القيام له:

عن معاوية رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من سره أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار»**[٥].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٨/ ٤٥٤) بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه الدارمي في (٥٣٩) بإسناد حسن.

(٣) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٧/ ١٦٨)، وغيره بإسناد صحيح.

(٤) «الفتاوى الهندية» (٥/ ٣٦٠).

(٥) أخرجه هناد في «الزهد» (٢/ ٤٢٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٩٧٧)، والترمذي (٢٧٥٥) بإسناد صحيح.

قال بدر الدين العيني:

«هذا الوعيد إنما توجه للمتكبرين[١] وإلى من يغضب أو يسخط أن لا يقام له»[٢].

قال البغوي:

«وهذا فيمن سلك فيه طريق التكبر، فأما القيام على وجه الاحترام، فغير مكروه، فقد قال النبي ﷺ لبني قريظة حين أقبل سعد وقال: **«قوموا إلى سيدكم»**[٣]»[٤].

الثامنة:

الأكل متكئا[٥]:

لحديث أبي جحيفة ، أن النبي ﷺ قال: **«لا آكل متكئاً»** أخرجه البخاري

---

(١) وإن كان للتأديب لهم، أو بلا إرادته فلا يدخل في هذا الوعيد.

(٢) «عمدة القاري» (٢٢/ ١٢١).

(٣) أخرجه البخاري (٣٠٤٣)، ومسلم (١٧٦٨).

(٤) «شرح السنة» (١٢/ ٢٩٥).

(٥) **والاتكاء اختلف أهل العلم في تفسيره على عدة أوجه:**

والراجح منها: الميل إلى أحد الشقين، فهو المتبادر إلى الذهن، كما قال ابن مفلح وغيره.

وقيل: أن كل من استوى قاعداً على وطاء فهو متكئ ، وهو قول الخطابي.

وقيل: معناه الاعتماد على الأطراف.

وقيل: التربع.

وقيل: الاعتماد على إحدى اليدين والأكل بالأخرى.

وقيل: إسناد الظهر إلى شيء. وانظر كتابي «تنبيه الأنام بذكر آداب الطعام».

(٥٣٩٨).

قال ابن الجوزي:

«وفي ذلك شيئان أحدهما: أنه فعل المتجبرين والمتكبرين، والثاني: أنه يمنع من نزول الطعام كما ينبغي إلى المعى وربما لم يسلم من ضغط يناله الأكل من مجاري طعامه»[١].

التاسعة:

إطالة الثوب إلى أسفل من الكعبين:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: **«لَا يَنْظُرُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بَطَرًا»**[٢].

قال ابن عثيمين:

«وهذه مسألة خطيرة وذلك أن الرجل منهي عن أن ينزل ثوبه أو سرواله أو مشلحه أو إزاره عن الكعب، لابد أن يكون من الكعب فما فوق فمن نزل عن الكعب فإن فعله هذا من الكبائر والعياذ بالله، لأنه إن نزل كبرا وخيلاء فإنه لا ينظر الله إليه يوم القيامة ولا يكلمه ولا يزكيه وله عذاب أليم، وإن كان نزل لغير ذلك كأن يكون طويلا ولم يلاحظه فأنه ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: **«ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار»**[٣] فكانت العقوبة حاصل على كل حال فيما نزل عن الكعبين لكن إن كان بطرا وخيلاء فالعقوبة أعظم، لا يكلم الله

---

(١) «كشف المشكل» (١/ ٢٨٣).

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٨٨)، ومسلم (٢٠٨٧).

(٣) أخرجه البخاري (٥٧٨٧).

صاحبه يوم القيامة ولا ينظر إليه ولا يزكيه وله عذاب أليم وإن كان غير خيلاء فإنه يعذب بالنار والعياذ بالله »[١].

العاشرة:

الإعجاب بالثياب:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: **«بينما رجل يمشي قد أعجبته جمته وبرداه إذ خسف به الأرض فهو يتجلجل في الأرض حتى تقوم الساعة»** أخرجه مسلم (٢٠٨٨).

قال النووي:

باب تحريم التبختر في المشي مع إعجابه بثيابه.

الحادية عشرة:

الفخر بالأحساب[٢]، والطعن في الأنساب[٣]:

عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: **«أربع في أمتي من أمر الجاهلية، لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب..»**[٤].

---

(١) «شرح رياض الصالحين» (١/ ٦٥٣).

(٢) هو التكبر والتعظم بعَدّ مناقبه ومآثر آبائه، وهذا يستلزم تفضيل الرجل نفسه على غيره ليحقره، وهو لا يجوز.

(٣) أي: الوقوع فيها بنحو قدح أو ذم، أي إدخال العيب في أنساب الناس، وذلك يستلزم تحقير الرجل آباء غيره، وتفضيل آبائه على آباء غيره، وهو ممنوع.

(٤) أخرجه مسلم (٩٣٤).

قال ابن قدامة المقدسي:

«واعلم: أن التكبر يظهر في شمائل الإنسان، كصعر وجهه، ونظره شزراً، وإطراق رأسه، وجلوسه متربعـًا ومتكئـًا، وفي أقواله، حتى في صوته ونغمته، وصيغة إيراده الكلام، ويظهر ذلك أيضـًا في مشيه وتبختره، وقيامه وقعوده وحركاته وسكناته وسائر تقلباته»[1].

* * *

(١) «مختصر منهاج القاصدين» (ص٢٣٠).

ذم الكبر والمتكبرين في القرآن الكريم

تكبر إبليس على السجود لآدم عليه السلام كما أمره الله عز وجل:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (البقرة:٣٤).

عن قتادة قال: حسد عدو الله إبليس آدم على ما أعطاه الله من الكرامة، وقال: أنا ناري وهذا طيني، فكان بدؤ الذنوب الكبر، استكبر عدو الله أن يسجد لآدم[1].

قال القرطبي:

«وقد صرح اللعين بهذا المعنى فقال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ (سورة ص:٧٦). ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ (الإسراء:٦١). ﴿قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ (الحجر:٣٣).

وروى ابن القاسم، عن مالك، أنه قال: «بلغني أن أول معصية كانت الحسد والكبر، حسد إبليس آدم»[2].

تكبر بني إسرائيل عن اتباع الحق، وكفرهم بآيات الله:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٨٤)، وغيره بسند ثابت.

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (١/ ٢٩٦).

يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ (البقرة:٦١).

قال ابن كثير:

«هذا الذي جازيناهم من الذلة والمسكنة، وإحلال الغضب بهم بسبب استكبارهم عن اتباع الحق، وكفرهم بآيات الله، وإهانتهم حملة الشرع وهم الأنبياء وأتباعهم، فانتقصوهم إلى أن أفضى بهم الحال إلى أن قتلوهم، فلا كبْر أعظم من هذا، أنهم كفروا بآيات الله وقتلوا أنبياء الله بغير الحق»[1].

نهي الله المؤمنين عن احتقار بعضهم البعض:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ (الحجرات:١١).

قال ابن كثير:

«ينهى تعالى عن السخرية بالناس، وهو احتقارهم والاستهزاء بهم، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«الكِبْر بطر الحق وغَمْص الناس»** ويروى: **«وغمط الناس»** والمراد من ذلك: احتقارهم واستصغارهم، وهذا

---

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ٢٨٣).

حرام، فإنه قد يكون المحتقر أعظم قدرا عند الله وأحب إليه من الساخر منه المحتقر له»[١].

تكبر أهل السوء من قوم نبي الله صالح عليه السلام على الحق:

قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ (الأعراف:٧٧:٧٥).

قال السعدي:

«حملهم الكبر أن لا ينقادوا للحق الذي انقاد له الضعفاء»[٢].

ومن ذم الكبر أن الله لا يحب من اتصف به:

قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ (النساء:٣٦).

قال القرطبي:

«نفى سبحانه محبته ورضاه عمن هذه صفته، أي لا يظهر عليه آثار نعمه في الآخرة. وفي هذا ضرب من التوعد. والمختال ذو الخيلاء أي الكبر.

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٧/ ٣٧٦).

(٢) «تفسير السعدي» (١/ ٢٩٥).

والفخور: الذي يعدد مناقبه كبرا. والفخر: البذخ والتطاول. وخص هاتين الصفتين بالذكر هنا لأنهما تحملان صاحبيهما على الأنفة من القريب الفقير والجار الفقير وغيرهم ممن ذكر في الآية فيضيع أمر الله بالإحسان إليهم»[1].

قال ابن كثير:

«أي: مختالا في نفسه، معجبا متكبرا، فخورا على الناس، يرى أنه خير منهم، فهو في نفسه كبير، وهو عند الله حقير، وعند الناس بغيض»[2].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ﴾ (النحل:٢٣).

قال السعدي:

«بل يبغضهم أشد البغض، وسيجازيهم من جنس عملهم»[3].

ومن عواقب الكبر الوخيمة أنه سبب لصرف صاحبه عن فهم آيات الله، والاهتداء بها:

قال تعالى: ﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ (الأعراف:١٤٦).

قال ابن كثير:

«أي: سأمنع فهم الحجج والأدلة على عظمتي وشريعتي وأحكامي قلوب المتكبرين عن طاعتي، ويتكبرون على الناس بغير حق، أي: كما استكبروا

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١/ ٣١٧).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٣٠١).

(٣) «تفسير السعدي» (ص٤٣٧).

بغير حق أذلهم الله بالجهل»[1].

قال السعدي:

«أي: يتكبرون على عباد الله وعلى الحق، وعلى من جاء به، فمن كان بهذه الصفة، حرمه الله خيرا كثيرا وخذله، ولم يفقه من آيات الله ما ينتفع به، بل ربما انقلبت عليه الحقائق، واستحسن القبيح»[2].

وعن محمد بن أبي الورد قال: دون الفهم أغطية على القلوب قد حجبت الفهم الذنوب والتكبر على المؤمنين قال الله ﷻ: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾[3].

ومن عواقبه السيئة أنه من أسباب الثواء في النار:

قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (الزمر:٦٠).

أي: أليست جهنم كافية لها سجنا وموئلا لهم فيها دار الخزي والهوان، بسبب تكبرهم وتجبرهم وإبائهم عن الانقياد للحق[4].

وقال تعالى: ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (الزمر:٧٢).

قال ابن كثير:

«أي: فبئس المصير وبئس المقيل لكم، بسبب تكبركم في الدنيا، وإبائكم عن اتباع الحق، فهو الذي صيركم إلى ما أنتم فيه، فبئس الحال وبئس

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٧/ ١١١).

(٢) «تفسير السعدي» (ص٣٠٢).

(٣) أخرجه البيهقي في «الشعب» (٦/ ٢٩٢) بإسناد ثابت.

(٤) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٤٧٥).

المآل»[1].

الكبر من أسباب إعراض المشركين عن قول كلمة التوحيد:

قال تعالى: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝٣٤ إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ (الصافات:٣٤: ٣٥).

قال الطبري:

«يقول تعالى ذكره: وإن هؤلاء المشركين بالله الذين وصف صفتهم في هذه الآيات كانوا في الدنيا إذا قيل لهم: قولوا: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ يقول: يتعظَّمون عن قِيل ذلك ويتكبرون، وترك من الكلام قولوا، اكتفاء بدلالة الكلام عليه من ذكره»[2].

ومن ذم الكبر أن موسى ﷺ استعاذ من المتصف به ولا يستعاذ إلا مما هو شر:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ﴾ (غافر:٢٧).

قال الشوكاني:

«لما هدده فرعون بالقتل استعاذ بالله ﷻ من كل متعظم عن الإيمان بالله غير مؤمن بالبعث والنشور، ويدخل فرعون في هذا العموم دخولا أوليا»[3].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٧/ ١١٩).

(٢) «تفسير الطبري» (٢١/ ٣٣).

(٣) «فتح القدير» (٤/ ٦٩٦).

ومن قبح الكبر أن الله يكرهه، لأنه أشر الأخلاق وأرذلها:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ٣٧ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ (الإسراء:٣٧: ٣٨).

قال السعدي:

«يقول تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ﴾ أي: كبرا وتيها وبطرا متكبرا على الحق ومتعاظما على الخلق.﴿إِنَّكَ﴾ في فعلك ذلك: ﴿لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ في تكبرك بل تكون حقيرا عند الله ومحتقرا عند الخلق مبغوضا ممقوتا قد اكتسبت أشر الأخلاق واكتسيت أرذلها من غير إدراك لبعض ما تروم»[1].

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (غافر:٦٠).

قال السعدي:

«أي: ذليلين حقيرين، يجتمع عليهم العذاب والإهانة، جزاء على استكبارهم»[2].

ومن عواقب المتكبرين الوخيمة أنهم يعاملون بنقيض قصدهم، كما حدث مع إبليس:

كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا

---

(١) «تفسير السعدي» (ص٤٥٧).

(٢) «تفسير السعدي» (ص٧٤٠).

﴿فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ (الأعراف:١٣).

قال الشنقيطي:

«بين تعالى في هذه الآية الكريمة: أنه عامل إبليس اللعين بنقيض قصده حيث كان قصده التعاظم والتكبر، فأخرجه الله صاغراً حقيراً ذليلا، متصفًا بنقيض ما كان يحاوله من العلو والعظمة، وذلك في قوله: ﴿فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾، والصغار: أشد الذل والهوان»[1].

كبر فرعون وفحش عمله:

قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ۝٥١ أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ۝٥٢ فَلَوۡلَآ أُلۡقِيَ عَلَيۡهِ أَسۡوِرَةٞ مِّن ذَهَبٍ أَوۡ جَآءَ مَعَهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مُقۡتَرِنِينَ﴾ (الزخرف:٥١ :٥٣).

قال الشنقيطي:

«ومقصوده بذلك كله تعظيم أمر نفسه وتحقير أمر موسى، وأنه لا يمكن أن يتبع الفاضل المفضول. وقد بين جل وعلا: أن فرعون كذّب وأبى، وهو عالم بأن ما جاء به موسى حق. وأن الآيات التي كذّب بها وأبى عن قبولها ما أنزلها إلا الله»[2].

قال ابن كثير:

«وهذا الذي قاله فرعون – لعنه الله- كذب واختلاق، وإنما حمله على

---

(١) «أضواء البيان» (٨/ ١٥).

(٢) «أضواء البيان» (٢١/ ٥٢).

هذا الكفر والعناد، وهو ينظر إلى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، بعين كافرة شقية، وقد كان موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، من الجلالة والعظمة والبهاء في صورة يبهر أبصار ذوي الأبصار والألباب. وقوله: ﴿مَهِينٌ﴾ كذب، بل هو المهين الحقير خِلْقةً وخلقا ودينا. وموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ هو الشريف الرئيس الصادق البار الراشد »[1].

ومن كبر فرعون وقومه:

قال تعالى: ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ﴾ (سورة المؤمنون:٤٥ : ٤٨).

قال السعدي:

«أي: تكبروا عن الإيمان بالله واستكبروا على أنبيائه ﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ﴾ أي: وصفهم العلو والقهر والفساد في الأرض فلهذا صدر منهم الاستكبار ذلك غير مستكثر منهم، فقالوا: كبرا وتيها وتحذيرا لضعفاء العقول وتمويها ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ كما قاله من قبلهم سواء بسواء تشابهت قلوبهم في الكفر فتشابهت أقوالهم وأفعالهم وجحدوا منة الله عليهما بالرسالة»[2].

تكبر قوم عاد واغترارهم بقوتهم:

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ (سورة فصلت:١٥).

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٧/ ٢٣١).

(٢) «تفسير السعدي» (ص٥٥٢).

قال السعدي:

«فأما عاد فكانوا - مع كفرهم بالله، وجحدهم بآيات الله، وكفرهم برسله - مستكبرين في الأرض، قاهرين لمن حولهم من العباد، ظالمين لهم، قد أعجبتهم قوتهم. ﴿وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ قال تعالى ردا عليهم، بما يعرفه كل أحد: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ فلولا خلقه إياهم، لم يوجدوا فلو نظروا إلى هذه الحال نظرا صحيحا، لم يغتروا بقوتهم، فعاقبهم الله عقوبة، تناسب قوتهم، التي اغتروا بها»[1].

تكبر قوم نوح عليه السلام على الحق، والإذعان إليه:

قال تعالى: ﴿وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا﴾ (سورة نوح:٨).

قال الطبري:

«يقول: وتكبروا فتعاظموا عن الإذعان للحقّ، وقبول ما دعوتهم إليه من النصيحة»[2].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (سورة الأعراف:٥٩: ٦٠).

قال السعدي:

«فلم يكفهم - قبحهم الله - أنهم لم ينقادوا له، بل استكبروا عن الانقياد

(١) «تفسير السعدي» (ص٧٤٦).

(٢) «تفسير الطبري» (٢٣/ ٦٣٢).

له، وقدحوا فيه أعظم قدح، ونسبوه إلى الضلال، ولم يكتفوا بمجرد الضلال حتى جعلوه ضلالا مبينا واضحا لكل أحد. وهذا من أعظم أنواع المكابرة، التي لا تروج على أضعف الناس عقلا وإنما هذا الوصف منطبق على قوم نوح، الذين جاءوا إلى أصنام قد صوروها ونحتوها بأيديهم، من الجمادات التي لا تسمع ولا تبصر، ولا تغني عنهم شيئا، فنزلوها منزلة فاطر السماوات، وصرفوا لها ما أمكنهم من أنواع القربات، فلولا أن لهم أذهانا تقوم بها حجة الله عليهم لحكم عليهم بأن المجانين أهدى منهم، بل هم أهدى منهم وأعقل»[1].

الكبر من صفات أئمة الكفر والضلال والبدع لرد الحق:

قال تعالى: ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ (سورة الحج:٩).

قال السعدي:

«أي: لاوي جانبه وعنقه، وهذا كناية عن كبره عن الحق، واحتقاره للخلق، فقد فرح بما معه من العلم غير النافع، واحتقر أهل الحق وما معهم من الحق، ﴿لِيُضِلَّ﴾ الناس، أي: ليكون من دعاة الضلال، ويدخل تحت هذا جميع أئمة الكفر والضلال»[2].

تكبر قارون على قومه:

قال تعالى: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْۖ﴾ (سورة

(١) «تفسير السعدي» (ص٢٩٢).

(٢) «تفسير السعدي» (ص٥٣٤).

القصص:٧٦).

قال السعدي:

«يخبر تعالى عن حالة قارون وما فعل وفعل به ونصح ووعظ، فقال: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ﴾ أي: من بني إسرائيل، الذين فضلوا على العالمين، وفاقوهم في زمانهم، وامتن الله عليهم بما امتن به، فكانت حالهم مناسبة للاستقامة، ولكن قارون هذا، بغى على قومه وطغى، بما أوتيه من الأموال العظيمة المطغية»[1].

بوب لها الإمام النووي في «رياض الصالحين»: «باب تحريم الكبر والإعجاب».

وقال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ﴾ (سورة القصص:٧٩).

قال ابن كثير:

«يقول تعالى مخبراً عن قارون: إنه خرج ذات يوم على قومه في زينة عظيمة، وتجمل باهر، من مراكب وملابس عليه وعلى خدمه وحشمه، فلما رآه مَنْ يريد الحياة الدنيا ويميل إلى زُخرفها وزينتها، تمنوا أن لو كان لهم مثل الذي أعطي»[2].

---

(١) «تفسير السعدي» (ص٦٢٣).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٢٥٥).

كبر المنافقين، وصدهم عن سبيل الله:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ (سورة المنافقون:٥).

قال ابن كثير:

«أي: صَدوا وأعرضوا عما قيل لهم، استكبارًا عن ذلك، واحتقارا لما قيل لهم»[1].

وقال تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سورة المناقون:٨).

والأمثلة كثيرة في القرآن الكريم وقد اقتصرت على ذكر جملة منها.

* * *

(١) «تفسير ابن كثير» (٨/ ١٢٦).

ذم الكبر والمتكبرين في السنة

الوعيد الشديد والخزي للمتكبرين:

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: **«لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر،** قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة، قال: **إن الله جميل يحب الجمال، الكبر: بطر الحق وغمط الناس»**[1].

وفي رواية:

«لا يدخل النار أحد في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، ولا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال حبة خردل من كبرياء»[2].

قال ابن عثيمين:

«فالذي في قلبه كبر، إما أن يكون كبرا عن الحق وكراهة له، فهذا كافر مخلد في النار ولا يدخل الجنة، لقول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ ولا يحبط العمل إلا بالكفر، لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾.

وأما إذا كان كبرا على الخلق وتعاظما على الخلق، لكنه لم يستكبر عن عبادة الله فهذا لا يدخل الجنة دخولا كاملا مطلقا لم يسبق بعذاب بل لابد من

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجها مسلم (٩١).

عذاب على ما حصل من كبره وعلوائه على الخلق ثم إذا طهر دخل الجنة»[١].

قال النووي: باب تحريم الكبر وبيانه.

الكبر صفة من صفات أهل النار:

عَنْ حَارِثَةَ بْنِ وَهْبٍ الْخُزَاعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟، كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَاعِفٍ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى الله لَأَبَرَّهُ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟، كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ»**[٢].

قال ابن عثيمين:

«وأما المستكبر فهو الذي جمع بين وصفين غمط الناس وبطر الحق لأن النبي ﷺ قال: **«الكبر بطر الحق وغمط الناس»** وبطر الحق، يعني: رده، وغمط الناس، يعني: احتقارهم، فهو في نفسه عال على الحق، وعال على الخلق، لا يلين للحق، ولا يرحم الخلق، والعياذ بالله، فهذه علامات أهل النار، نسأل الله أن يعيذنا وإياكم من النار»[٣].

سجن المتكبرين في النار، وعذابهم وطعامهم فيها:

أخرج أحمد (٢/ ١٧٩)، وغيره بسند حسن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **«يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُوَرِ النَّاسِ، يَعْلُوهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مِنْ الصَّغَارِ، حَتَّى يَدْخُلُوا سِجْنًا فِي جَهَنَّمَ، يُقَالُ لَهُ: بُولَسُ**[٤]،

---

(١) «شرح رياض الصالحين» (١/ ٦٤٥).

(٢) أخرجه البخاري (٤٩١٨)، ومسلم (٢٨٥٣).

(٣) «شرح رياض الصالحين» (١/ ٦٤٧).

(٤) **وقال في «القاموس»:** بولس بضم الباء وفتح اللام سجن جهنم.

فَتَعْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْيَارِ، يُسْقَوْنَ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ[١]، عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ[٢]».

قال الملا علي القاري:

«أي: في الصغر والحقارة يوم القيامة، في صور الرجال، أي: من جهة وجوههم أو من حيثية هيئتهم من انتصاب القامة، يغشاهم، أي: يأتيهم، الذل من كل مكان، أي: من كل جانب، والمعنى: أنهم يكونون في غاية من المذلة والنقيصة يطؤهم أهل المحشر بأرجلهم من هوانهم على الله»[٣].

تفاخر النار بسكانها من المتكبرين:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«تَحَاجَّتْ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتْ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ[٤]، وَقَالَتْ الْجَنَّةُ: مَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ، قَالَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي ...»**[٥].

قال ابن بطال:

«واختصام الجنة والنار هو افتخار بعضهما على بعض بمن يسكنهما،

---

(١) بالجر بدل من عصارة أهل النار والخبال بفتح الخاء المعجمة وهو في الأصل الفساد ويكون في الأفعال والأبدان والعقول.

(٢) بضم العين المهملة وهو ما يسيل منهم من الصديد والقبح والدم.

(٣) «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (١٤/ ٤١٨).

(٤) جمع بينهما للتأكيد، وقيل: للتكبر للتعظم بما ليس فيه، والمتجبر: الممنوع الذي لا يوصل إليه وقيل الذي لا يكترث ولا يبالي بأمر الضعفاء والمساكين.

(٥) أخرجه البخاري (٧٤٤٩)، ومسلم (٢٨٤٦).

فالنار تتكبر بمن يلقى فيها من المتكبرين وتظن أنها آثر بذلك عند الله من الجنّة»[١].

وهذا رجل تكبر على أمر رسول الله ﷺ فعوقب في الحال:

عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه، أن رجلا[٢] أكل عند رسول الله ﷺ بشماله، فقال: **كل بيمينك**، قال: لا أستطيع، قال: **لا استطعت، ما منعه إلا الكبر**، قال: فما رفعها إلى فيه»[٣].

قال القرطبي:

«قوله: **«لا استطعت»**، دعاء منه عليه، لأنَّه لم يكن له في ترك الأكل باليمين عذر، وإنما قصد المخالفة، وكأنه كان منافقًا[٤]. والله تعالى أعلم. ولذلك قال الراوي: وما منعه إلا الكبر. وقد أجاب الله تعالى دعاء النبي ﷺ في هذا الرجل، حتى شُلَّت يمينه، فلم يرفعها لفيه بعد ذلك اليوم»[٥].

---

(١) «شرح صحيح البخاري» (١٠/ ٤٧٢).

(٢) **قال النووي:** «هذا الرجل هو بسر بضم الباء وبالسين المهملة ابن راعى العير بفتح العين وبالمثناة الأشجعي كذا ذكره ابن منده وأبو نعيم الأصبهاني وابن ماكولا وآخرون وهو صحابي مشهور عده هؤلاء وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم» «شرح مسلم» (١٣/ ١٩٢).

(٣) أخرجه مسلم (٢٠٢١).

(٤) وهو قول القاضي عياض، ولكن تعقبهما النووي فقال: فليس بصحيح فإن مجرد الكبر والمخالفة لا يقتضي النفاق والكفر لكنه معصية إن كان الأمر أمر إيجاب. «شرح مسلم» (١٣/ ١٩٢).

(٥) «المفهم» (١٧/ ٢٤).

ومن عواقب الكبر أن صاحبه يعذب لأنه نازع الله فيما يختص به:

عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قالا: قال رسول الله ﷺ: قال الله عَزَّ وَجَلَّ: **«العز إزاره، والكبرياء رداؤه، فمن ينازعنى عذبته»**[(١)].

قال ابن عثيمين:

« **«العز إزاري، والكبرياء ردائي»**، وهذا من الأحاديث التي تمر كما جاءت عن النبي ﷺ ولا يتعرض لمعناها بتحريف أو تكييف وإنما يقال هكذا قال الله تعالى فيما رواه النبي ﷺ عنه فمن نازع الله في عزته وأراد أن يتخذ سلطانا كسلطان الله، أو نازع الله في كبريائه وتكبر على عباد الله فإن الله يعذبه، يعذبه على ما صنع ونازع الله تعالى فيما يختص به»[(٢)].

لا ينظر الله يوم القيامة لمن جر ثوبه كبرا:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: **«لَا يَنْظُرُ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بَطَرًا»**[(٣)].

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ مَخِيلَةً لَمْ يَنْظُرْ الله إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**[(٤)].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٢٠).

(٢) «شرح رياض الصالحين» (١/ ٦٥٢).

(٣) أخرجه البخاري (٥٧٨٨)، ومسلم (٢٠٨٧).

(٤) أخرجه البخاري (٥٧٩١)، ومسلم (٢٠٨٥).

قال ابن عبد البر:

«التكبر وهي الخيلاء والمخيلة، يقال منه: رجل خال ومختال شديد الخيلاء، وكل ذلك من البطر والكبر، والله لا يحب المتكبرين ولا يحب كل مختال فخور»[١].

الفقراء المتكبرون لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل[٢] مستكبر»**[٣].

قال ابن الجوزي:

«والعائل: الفقير، والتكبر مع الفقر لا وجه له، وهذه الذنوب قبيحة ممن كانت ولكنها من هؤلاء أقبح، كما أن المعاصي من كل أحد قبيحة، لكنها من العلماء أقبح»[٤].

قال القرطبي:

«وإنما غلَّظ العقابَ على هؤلاءِ الثلاثة، لأنَّ الحاملَ لهم على تلك

---

(١) «التمهيد» (٣/ ٢٤٤).

(٢) العائلُ: الفقير، والمُعِيلُ: الكثيرُ العِيَال؛ يقال: عال الرجلُ فهو عائلٌ: إذا افتقَرَ، والعَيْلَةُ: الفقر، وأعالَ فهو مُعِيلٌ: إذا كَثُرَ عياله. «المفهم» (٢/ ٦٧).

(٣) أخرجه مسلم (١٠٧).

(٤) «كشف المشكل» (٤/ ٢٣٤).

المعاصي مَحْضُ المعاندة، واستخفافُ أمرِ تلك المعاصي التي اقتحموها، إذْ لم يَحْمِلْهم على ذلك حاملٌ حَاجِيٌّ، ولا دعتهم إليها ضرورةٌ كما تدعو مَنْ لم يكنْ مثلهم ... وأما **«العَائِلُ المُسْتَكْبِرُ»**: فاستحقَّ ذلك، لغلبة الكِبْرِ على نفسه، إذْ لا سببَ له مِنْ خارجٍ يحملُهُ على الكبر، فإنَّ الكِبْرَ غالبًا إنما يكونُ بالمالِ والخَوَلِ والجاه، وهو قد عَدِمَ ذلك كلَّه، فلا مُوجِبَ له إلا غلبةُ الكِبْرِ على نفسه، وقِلَّةُ مبالاتِهِ بتحريمِهِ، وتوعيدِ الشرعِ عليه، مع أنَّ اللائقَ به والمناسبَ لحالِهِ: الذُّلُّ والتواضُعُ لفقره وعجزه»[1].

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثلاثة لا يكلمهم الله لأ يوم القيامة: الشيخ الزاني، والعائل المزهو[2] والإمام الكذاب»**[3].

الكبر سبب في الخسف وعذاب القبر:

عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، أَوْ قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ: **«بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ[4]، إِذْ خَسَفَ الله بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»**[5].

---

(١) «المفهم» (٢/ ٦٧).

(٢) الفقير المتكبر.

(٣) أخرجه النسائي (٢٥٧٥)، وابن حبان (٤٤١٣) بإسناد قوي.

(٤) لبس الثياب الحسن، والاهتمام بحسن الهيئة، والتجمل ليس من الكبر ما دام أنه لم يقصد الاختيال وازدراء الآخرين لأن النبي ﷺ أجاب على السائل الذي قال: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا، ونعله حسنة، قال: «**إن الله جميل يحب الجمال**» وقد تقدم.

(٥) أخرجه البخاري (٥٧٨٩)، ومسلم (٢٠٨٨).

قال ابن عثيمين:

«بينما رجل يمشي في حلة، تعجبه نفسه، مرجل رأسه يختال في مشيته أي عنده من الخيلاء والكبرياء والغطرسة ما عنده إذ خسف الله به أي: خسف به الأرض فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة يعني انهارت به الأرض وانغمس فيها واندفن فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة لأنه - والعياذ بالله - لما صار عنده هذا الكبرياء وهذا التيه وهذا الإعجاب خسف به»[1].

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«بَيْنَمَا رَجُلٌ يَجُرُّ إِزَارَهُ مِنْ الْخُيَلَاءِ، خُسِفَ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي الْأَرْضِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»**[2].

قال بدر الدين العيني:

«قوله: من الخيلاء: هو التكبر والتبختر مع الإعجاب، قوله يتجلجل أي: يتحرك في الأرض، والجلجلة الحركة مع صوت»[3].

الكبر والتفاخر بالأحساب من أعمال الجاهلية:

عن أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أربع في أمتي من أمر الجاهلية، لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب**[4]**،**

---

(١) «شرح رياض الصالحين» (١/ ٦٥٢).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٨٥)، ومسلم (٢٠٨٨).

(٣) «عمدة القاري» (٢٤/ ١).

(٤) أي: الوقوع فيها بنحو قدح أو ذم، أي إدخال العيب في أنساب الناس، وذلك يستلزم تحقير الرجل آباء غيره، وتفضيل آبائه على آباء غيره، وهو ممنوع.

والاستسقاء بالنجوم[١]، والنياحة، وقال: النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب»[٢].

قال التبريزي:

«ومعنى الفخر في الأحساب هو التكبر والتعظم بعَدّ مناقبه ومآثر آبائه، وهذا يستلزم تفضيل الرجل نفسه على غيره ليحقره، وهو لا يجوز، وفي الحديث كرم الرجل دينه وحسبه وخلقه، وفي ذلك نفي ما كان عليه أهل الجاهلية، وفيه تنبيه على أن الحسب الذي يحمد به الإنسان ما تحلى به من خصال الخير في نفسه لا ما يعده من مفاخره ومآثر آبائه»[٣].

من فارق الدنيا وهو بريء من الكبر دخل الجنة:

عَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ الله ﷺ، عَنْ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: **«مَنْ فَارَقَ الرُّوحُ الْجَسَدَ وَهُوَ بَرِيءٌ مِنْ ثَلَاثٍ دَخَلَ الْجَنَّةَ، الْكِبْرِ، وَالْغُلُولِ، وَالدَّيْنِ»**[٤].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«إِنَّ الله لأ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ[٥]، وَفَخْرَهَا بِالآبَاءِ، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ**

---

(١) أي: اعتقاد أن نزول المطر بنجم كذا، توقع الأمطار عن وقوع النجوم في الأنواع، كما كانوا يقولون: مطرنا بنوء كذا.

(٢) أخرجه مسلم (٩٣٤).

(٣) «مشكاة المصابيح» (٥/ ٩٢٩).

(٤) أخرجه أحمد (٥/ ٢٨١)، والترمذي (١٥٧٢)، وابن ماجه (٢٤١٢)، وغيرهم بإسناد صحيح.

(٥) العبية الكبر والنخوة، يريد بهذا القول ما كان عليه أهل الجاهلية من التفاخر بالأنساب والتباهي بها. «غريب الحديث» (١/ ٢٩٠) للخطابي.

مِنْ تُرَابٍ، لَيَدَعَنَّ رِجَالٌ فَخْرَهُمْ بِأَقْوَامٍ، إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ مِنْ فَحْمِ جَهَنَّمَ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللهِ مِنَ الْجِعْلَانِ[1] الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتْنَ»[2].

عن عياض بن حمار أخي بني مجاشع، قال: قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم خطيبا، فقال: **إن الله أمرني ، وإن الله أوحى إلي أن تواضعوا، حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغ أحد على أحد»**[3].

قال المناوي:

«لا يفخر أحد منكم على أحد بتعدد محاسنه كبرا، ورفع قدر نفسه على الناس تيها وعجبا»[4].

وصية نبي الله نوح عليه السلام لابنه، ونهيه له عن الشرك والكبر:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ، عَلَيْهِ جُبَّةٌ سِيجَانٍ مَزْرُورَةٌ بِالدِّيبَاجِ، فَقَالَ: **أَلَا إِنَّ صَاحِبَكُمْ هَذَا قَدْ وَضَعَ كُلَّ فَارِسٍ ابْنِ فَارِسٍ، قَالَ يُرِيدُ أَنْ يَضَعَ كُلَّ فَارِسٍ ابْنِ فَارِسٍ، وَيَرْفَعَ كُلَّ رَاعٍ ابْنِ رَاعٍ،** قَالَ فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَجَامِعِ جُبَّتِهِ، وَقَالَ: أَلَا أَرَى عَلَيْكَ لِبَاسَ مَنْ لَا يَعْقِلُ، ثُمَّ قَالَ: **إِنَّ نَبِيَّ اللهِ نُوحًا ﷺ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، قَالَ لِابْنِهِ: إِنِّي قَاصٌّ عَلَيْكَ الْوَصِيَّةَ، آمُرُكَ بِاثْنَتَيْنِ، وَأَنْهَاكَ عَنِ اثْنَتَيْنِ، آمُرُكَ: بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَإِنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ، وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا**

---

(١) جمع جعل، وهو حيوان كالخنفساء يكثر في المناطق الندية.

(٢) أخرجه أحمد، وغيره بإسناد حسن لحال هشام بن سعد.

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٦٥).

(٤) «فيض القدير» (٢/ ٢٧٤).

اللهِ فِي كِفَّةٍ، رَجَحَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ كُنَّ حَلْقَةً مُبْهَمَةً، قَصَمَتْهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، فَإِنَّهَا صَلَاةُ كُلِّ شَيْءٍ، وَبِهَا يُرْزَقُ الْخَلْقُ، وَأَنْهَاكَ: عَنْ الشِّرْكِ وَالْكِبْرِ، قَالَ: قُلْتُ: أَوْ قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا الشِّرْكُ قَدْ عَرَفْنَاهُ، فَمَا الْكِبْرُ ؟، قَالَ: أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا نَعْلَانِ حَسَنَتَانِ، لَهُمَا شِرَاكَانِ حَسَنَانِ؟، قَالَ: **لَا**، قَالَ: هُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا حُلَّةٌ يَلْبَسُهَا؟، قَالَ: **لَا**، قَالَ: الْكِبْرُ هُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا دَابَّةٌ يَرْكَبُهَا ؟، قَالَ: **لَا**، قَالَ: أَفَهُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا أَصْحَابٌ يَجْلِسُونَ إِلَيْهِ ؟، قَالَ: **لَا**، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَمَا الْكِبْرُ؟، قَالَ: **سَفَهُ الْحَقِّ وَغَمْصُ النَّاسِ»**[1].

ومن هلاك المتكبرين، وعظم ذنبهم:

عن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من سره أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار»**[2].

قال بدر الدين العني:

«هذا الوعيد إنما توجه للمتكبرين[3] وإلى من يغضب أو يسخط أن لا يقام له»[4].

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ١٦٩) بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه هناد في «الزهد» (٢/ ٤٢٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٩٧٧)، والترمذي (٢٧٥٥) بإسناد صحيح.

(٣) وإن كان للتأديب لهم، أو بلا إرادته فلا يدخل في هذا الوعيد.

(٤) «عمدة القاري» (٢٢/ ١٢١).

الكبر يجلب غضب الله على صاحبه:

عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: **«مَنْ تَعَظَّمَ فِي نَفْسِهِ، أَوْ اخْتَالَ فِي مِشْيَتِهِ، لَقِيَ الله وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ»**[١].

قال المناوي:

« **«من تعظم في نفسه»** أي: تكبر، **«واختال في مشيته»** أي: تكبر وتبختر وأعجب في نفسه فيها، **«لقي الله وهو عليه غضبان»** لمنازعته له في إزاره وردائه تعالى فإن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه، وفيه أن ذلك كبيرة»[٢].

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: **«أربعة يبغضهم الله: البياع الحلاف[٣]، والفقير المختال[٤]، والشيخ الزاني[٥]، والإمام الجائر[٦]»**[٧].

قال المناوي:

«وإنما أبغضهم لأن الحلاف الكثير الحلف انتهك ما عظم الله من أسمائه وجعله سببا وحيلة لدرك ما حقره من الدنيا لعظمها في قلبه. فبغضه ومقته، هذا في الحلف الصادق فما بالك بالكاذب ؟، والفقير المختال: أي المتكبر

---

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٥٤٩، وغيره بسند صحيح.

(٢) «فيض القدير» (٦/ ١٣٨).

(٣) أي: الذي يكثر الحلف على سلعة لقد أعطى فيها أكثر من كذا.

(٤) بخاء معجمة: أي المتكبر المعجب بنفسه.

(٥) أي الرجل الذي قد أمسى وهو مصر على الوطء بغير عقد شرعي، ومثله الشيخة الزانية.

(٦) أي الحاكم الظالم المائل عن الحق إلى الباطل، يقال جار في حكمه يجور جورا.

(٧) **صحيح:** أخرجه النسائي (٢٥٧٦)، و ابن حبان (١٠٩٨).

قد زوى الله عنه أسباب الكبر بحمايته له عن الدنيا فأبى لؤم طبعه إلا التكبر ولم يشكر نعمة الفقر»[١].

المتكبرون أبعد الناس مجلسا عن رسول الله ﷺ يوم القيامة:

عن جابر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلسا يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون،** قالوا: قد علمنا: الثرثارون والمتشدقون، فما المتفيهقون ؟، قال: **المتكبرون**»[٢].

فضيحة المتكبرين يوم القيامة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يخرج عنق**[٣] **من النار يوم القيامة، له عينان يبصر بهما، وأذنان يسمع بهما، ولسان ينطق به، فيقول: إني وكلت بثلاثة: بكل جبار عنيد**[٤]**، وبكل من ادعى مع الله إلها آخر، والمصورين**»[٥].

وعند مسلم (٢٥٦٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى ها هنا، ويشير إلى صدره، ثلاث مرات، بحسب امرئ من الشر**

(١) «فيض القدير» (١/ ٦٠٢).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٠١٨)، وغيره بإسناد ثابت.

(٣) أنه تخرج قطعة من النار على هيئة الرقبة الطويلة.

(٤) الجبار هو المتمرد العاتي، والعنيد الجائر عن القصد، الباغي الذي يرد الحق مع العلم به.

(٥) أخرجه أحمد (٢/ ٣٣٦)، والترمذي (٢٥٧٤) بإسناد صحيح.

أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه».

وهذه امرأة تذم زوجها لكبره:

ففي «الصحيحين» من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قَالَتْ الْأُولَى: زَوْجِي لَحْمُ جَمَلٍ غَثٍّ، عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ، لَا سَهْلٍ فَيُرْتَقَى، وَلَا سَمِينٍ فَيُنْتَقَلُ».

قال النووي:

«أي يترفع ويتكبر ويسمو بنفسه فوق موضعها كثيرا أي أنه يجمع إلى قلة خيره تكبره وسوء الخلق» «شرح مسلم» (١٥/ ٢١٣).

* * *

أقوال الصحابة رضي الله عنهم في ذم الكبر والمتكبرين

ذم ابن مسعود رضي الله عنه للكبر وأهله:

عن أبي أياس البجلي، قال: قال عبد الله: من تطاول تعظما خفضه الله، ومن وضع نفسه خشوعا رفعه الله عز وجل»[١].

عن أبي عثمان، قال: رأى ابن مسعود رجلا عليه عباءتان، قد اتزر بإحداهما وهو يجرها، وارتدى بالأخرى، فقال: من جر إزاره لا يجره إلا من الخيلاء، فليس من الله في حل ولا حرام»[٢].

خوف معاوية رضي الله عنه، وبعده عن التشبه بالمتكبرين:

عن أبي مجلز، قال: خرج معاوية، فقام عبد الله بن الزبير وابن صفوان حين رأوه، فقال: اجلسا، سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من سره أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار»**[٣].

---

(١) **صحيح:** أخرجه هناد في «الزهد» (٢/ ٤٢٥)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ١٣٨) بإسناد صحيح موقوفا.

وله طريق آخر: أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٧٤)، وأحمد في «الزهد» (ص١٥٦)، وغيرهما بإسناد حسن لحال عاصم بن بهدلة، و هو ابن أبي النجود.

(٢) أخرجه هناد في «الزهد» (٢/ ٤٣٢) بإسناد صحيح.

(٣) **صحيح:** تقدم تخريجه.

وهذا الحبر المعلم عبد الله بن سلام ﵁ يدفع عنه الكبر بتواضعه لله:

عن عبد الله بن حنظلة، أن عبد الله بن سلام مر في السوق وعليه حزمة من حطب، فقيل له: أليس الله قد أعفاك عن هذا؟، قال: بلى، ولكن أردت أن أدفع به الكبر، سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر»**(١).

المتكبر في نفسه كبير، وفي أعين الناس حقير كما قال عمر ﵁:

خطب عمر بن الخطاب ﵁ على المنبر فقال: «إن العبد إذا تواضع لله، رفع الله حكمته، وقال: أنعش نعشك الله، فهو في عينه حقير، وفي أعين الناس

---

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد» (ص ١٨٢)، والطبراني في «الكبير» (١٣/ ١٤٧) عن إسماعيل بن سنان - يعني العُصفُرِيَّ -، والحاكم (٣/ ٤١٦)، والخرائطي في «المساوئ» (٢٦٥) عن سالم بن إبراهيم صاحب المصاحف، والأصبهاني (٢/ ٩٥٦) عن عمر بن يونس اليمامي- ثلاثتهم- عن عكرمة بن عمار، عن القاسم بن محمد، قال: زعم عبدالله بن حنظلة: أن عبدالله بن سلام مر في السوق ...».

قال الحاكم: «صحيح الإسناد، ولم يخرجاه في ذكر عبد الله بن سلام» وتعقبه الذهبي بقوله: «قلت: سالم واهٍ».

قلت: بل توبع سالم كما تقدم، وصححه البوصيري في «إتحاف الخيرة» (٧/ ٣٧٥)، وحسنه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٢٨٤)، وإسماعيل بن سنان العصفري ما بحديثه بأس، كما قال أبو حاتم في «الجرح والتعديل».

والقول قول من حسنه لحال عكرمة بن عمار العجلي، وللمرفوع شاهد أخرجه مسلم من حديث ابن مسعود ﵁.

كبير، وإذا تكبر وعدا وهصه الله إلى الأرض، فقال: اخسأ أخسأك الله، فهو في نفسه كبير، وفي أعين الناس حقير، حتى هو أحقر في أعين الناس من خنزير، ثم قال: يا أيها الناس، لا تبغضوا الله إلى عباده، قال: فقال قائل: وكيف ذاك أصلحك الله ؟، قال: يجلس أحدكم قاضيا، فيطول على الناس حتى يبغض إليهم ما هم فيه، ويقوم أحدكم إماما، فيطول على الناس حتى يبغض إليهم ما هم فيه»[١].

الكبر من مصالى الشيطان وفخوخه:

عن الهيثم بن مالك الطائي، قال: سمعت النعمان بن بشير يقول على المنبر: إن للشيطان مصالى وفخوخا، وإن مصالى[٢] الشيطان وفخوخه: البطر بأنعم الله، والفخر بعطاء الله، والكبرياء على عباد الله، واتباع الهوى في غير ذات الله»[٣].

الكبر آفة النجابة:

قال معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «آفة العلم النسيان، وآفة العبادة الرياء ، وآفة النجابة الكبر، وآفة اللب العجب، وآفة الإصلاح الشح، وآفة السماحة التبذير، وآفة الجلد الفحش، وآفة الحياء الذل، وآفة الحب الضعف، وآفة الظرف

---

(١) **صحيح:** أخرجه ابن عيينة في «جزءه» (٢٤)، وابن أبي شيبة (٩/ ٩٠)، والبيهقي في «الآداب» (١/ ٢٥٠)، وغيرهم.

(٢) **قال أبو عبيد:** المصالى، شبيه بالشرك تنصب للطير وغيرها.

(٣) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٥٥٣)، وفي التاريخ الكبير» (٨/ ٣٢١) بإسناد حسن من أجل يزيد بن أيهم الشامي، وإسماعيل بن عياش، فهما ممن يحسن حديثهما.

الإكثار»[1].

جبير بن مطعم رضي الله عنه يتبرأ من الكبر:

عَنْ نَافِعِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: يَقُولُونَ لِي: فِيَّ التِّيهُ، وَقَدْ رَكِبْتُ الْحِمَارَ، وَلَبِسْتُ الشَّمْلَةَ، وَقَدْ حَلَبْتُ الشَّاةَ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ فَعَلَ هَذَا، فَلَيْسَ فِيهِ مِنَ الْكِبْرِ شَيْءٌ»**[2].

بغض ابن عمر رضي الله عنهما للكبر وما يوصل إليه:

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، قال: التقى عبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص على المروة، فتحدثا، ثم مضى عبد الله بن عمرو، وبقى عبد الله بن عمر يبكي، فقال له رجل: ما يبكيك يا أبا عبد الرحمن؟، قال: هذا، يعني عبد الله بن عمرو زعم أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **«من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر أكبه الله على وجهه في النار»**[3].

وعن قزعة، قال: أهديت الى ابن عمر رضي الله عنهما أثواب هروي فردها، وقال: إنه لا يمنعنا من لبسها إلا مخافة الكبر»[4].

وأخرج أحمد في «الزهد» (ص١٥٨) بإسناد صحيح عن قزعة، قال: رأيت علي ابن عمر رحمه الله ثيابا خشبة، فقيل:أو خشنة، فقلت: يا أبا عبد الرحمن، إني

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «إصلاح المال» (١٥٤) بإسناد حسن.

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٥/ ٢٠٦)، والترمذي (٢٠٠١) بإسناد صحيح.

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ١٦٤)، وغيره وهو حديث صحيح.

(٤) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٤/ ١٦١) بإسناد حسن والمسعودي اختلط ولكن الراوي عنه عمرو بن الهيثم وهو ممن روى عنه قبل الاختلاط.

قد أتيتك بثوب لين مما يصنع بخراسان فتقر عيني إن أراه عليك، فإن عليك ثيابا خشبة أو خشنة، قال: أرنيه حتى أنظر إليه، قال: فلمسه بيده، وقال: أحرير هو؟، قلت: لا، إنه من قطن، قال: إني أخاف إن أنا لبسته أخاف أن أكون مختالا فخورا، والله لا يحب كل مختال فخور».

ذم علي رضي الله عنه للكبر وتورعه عنه:

أخرج ابن الجعد في «مسنده» (٢١٤٧)، وغيره بإسناد لا بأس به عن زيد بن وهب، قال: قدم على علي وفد من أهل البصرة، فيهم رجل من رءوس الخوارج، يقال له: الجعد بن بعجة فخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا علي اتق الله فإنك ميت وقد علمت سبيل المحسن والمسيء، ثم وعظه وعاتبه في لبوسه[1]، فقال: مالك وللبوسي إن لبوسي أبعد من الكبر وأجدر أن يقتدي بي المسلم».

* * *

(١) وهذا من جملة سوء أدب الخوارج مع الصحابة الكرام رضي الله عنهم وقد بينت ذلك في كتابي «سوء أدب الخوارج مع أهل السنة».

أقوال السلف في ذم الكبر والمتكبرين

خوف أبي سنان[١] من الكبر:

عن سفيان، قال: كان أبو سنان يشتري الشيء من السوق فيحمله فيأتيه الرجل فيقول: يا أبا سنان أنا أحمله لك، فيأبى ثم يقول: إنه لا يحب المستكبرين.

قال سفيان: وكان شيخاً من العرب له ناحية حسنة[٢].

الكبر جامع لكل العيوب:

قال الشافعي:

«الكبر فيه كل عيب»[٣].

إيذاء المتكبر بكبره لمن يصاحبه من الناس:

وقال يوسف بن الحسين: ما صحبني متكبر قط إلا اعتراني داؤه لأنه يتكبر، فإذا تكبر غضبت، فإذا غضبت أداني الغضب إلى الكبر، فإذا داءه قد اعتراني»[٤].

---

(١) هو ضرار بن مرة الكوفي، أبو سنان الشيباني الأكبر، من الطبقة السادسة، من الذين عاصروا صغار التابعين، وهو من الثقات.

(٢) أخرجه الفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٣/ ٥٤)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٩٢)، وغيرهما بإسناد صحيح إليه.

(٣) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦/ ٢٩٤) بإسناد صحيح.

(٤) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦/ ٢٩٤).

الكبر يقطع العبد عن ربه، وهو مرض لا يداوى:

قال أبو عمرو بن حمدان: وجدت في كتاب أبي، سمعت أبا عثمان يقول: الخوف من الله يوصلك إلى الله، والكبر والعجب في نفسك يقطعك عن الله، واحتقار الناس في نفسك مرض عظيم لا يداوى»[١].

الكبر سمج لجميع الخلق:

عن يحيى بن معاذ الرازي[٢]: «التواضع حسن لجميع الخلق وهو بالأغنياء أحسن، والكبر سمج لجميع الخلق وهو بالفقير أسمج»[٣].

حرص السلف على عمل ما ينجي من الكبر:

عن يحيى بن جعدة[٤]، قال: من وضع وجهه لله ساجدا فقد بريء من الكبر»[٥].

وفي رواية:

من وضع جبينه لله ساجدا، فليس بمتكبر، وقد برئ من الكبر.

---

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦/ ٢٩٦) بإسناد صحيح إليه.

(٢) الواعظ: من كبار المشايخ، له كلام جيد، ومواعظ مشهورة. «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ١٥).

(٣) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦/ ٢٩٦) بإسناد صحيح إليه.

(٤) هو يحيى بن جعدة بن هبيرة بن أبي وهب بن عمرو القرشي المخزومي، من الطبقة الثالثة، من الوسطى من التابعين، وهو من الثقات،

(٥) أخرجه وكيع في «الزهد» (٣٥٠)، وابن الجعد في «مسنده» (١٧٣٧)، وهناد في «الزهد» (٢/ ٤٢٤)، وغيرهما بإسناد صحيح.

وعن عكرمة، أنه قال: ضع أنفك حتى يخرج منه الرغم، قلت: ما الرغم؟، قال: الكبر»[١].

عن عبد الله بن شداد بن الهاد، قال: «من لبس الصوف، واعتقل العنز، وركب البعير، وأجاب دعوة الرجل الدون، فقد برئ من الكبر»[٢].

ذم عون بن عبد الله[٣] للكبر:

عَنْ عَوْنٍ، قَالَ: بِحَسْبِكَ مِنَ الْكِبْرِ أَنْ تَأْخُذَ بِفَضْلِكَ عَلَى غَيْرِكَ[٤].

من تكبر وضعه الله:

عَنْ كَعْبٍ[٥]، قَالَ: مَا مِنْ عَبْدٍ إِلاَّ فِي رَأْسِهِ حِكْمَةٌ، فَإِنْ تَوَاضَعَ رَفَعَهُ اللهُ، وَإِنْ تَكَبَّرَ وَضَعَهُ اللهُ[٦].

وأخرج أحمد في «الزهد» (ص٣٨١) بإسناد صحيح عن مجاهد، قال: ما من بني آدم أحد إلا وملك آخذ بناصيته، فإن تكبر وضعه الله لأ، وملك آخذ بحكمته فإن تواضع رفعه».

عن زيد بن أسلم، أن رجلين كانا في مسجد حمص، أحدهما أبو مسلم

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (٢/ ١٨١) بإسناد حسن لحال الحكم بن أبان العدني.

(٢) أخرجه المعافى بن عمران في «الزهد» (١٠٣) بإسناد صحيح.

(٣) هو عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي، من الطبقة الرابعة.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (١٣/ ٤٢٨)، والبلاذري في «أنساب الأشراف» (٤/ ٢٥) بإسناد ثابت.

(٥) هو كعب بن ماتع الحميري أبو إسحاق، المعروف بكعب الأحبار، من كبار التابعين.

(٦) **صحيح:** أخرجه ابن أبي شيبة (١٤/ ٤٢).

الخولاني، والآخر كعب الأحبار، إذ مر بهما رجل ذو بزة، فقال أبو مسلم لكعب: ما أقبح الخيلاء والفخر، وقال كعب: ولا أرد عليك حديثك، والذي نفسي بيده، ما أحد يلبس ثوب خيلاء، فينظر الله إليه حتى يضعه، وإن كان يحبه[١].

قال ابن المعتز:

«لما عرف أهل النقص حالهم عند ذوي الكمال استعانوا بالكبر ليعظم صغيرا، ويرفع حقيرا، وليس بفاعل»[٢].

قال أَبُو حاتم البستي[٣]:

«أفضل الناس من تواضع عَن رفعة وزهد عَن قدرة وأنصف عَن قوة ولا يترك المرء المتواضع إلا عند استحكام التكبر فلا يتكبر على الناس أحد إلا بإعجابه بنفسه وعجب المرء بنفسه أحد حماد عقله وما رأيت أحد تكبر على من دونه إلا ابتلاه الله بالذلة لمن فوقه وأنشدني مُحَمَّد بْن أَبِي علي الخلادي:

ودع التيه والعبوس على الناس ... فإن العبوس رأس الحماقة

كلما شئت أن تعادي عاديت ... صديقا وقد تغر الصداقة

التكبر دليل على خسران من اتصف به:

عن خالد بن يزيد بن معاوية قال: « إذا رأيت الرجل لجوجا مماريا معجبا

---

(١) أخرجه المعافى بن عمران في «الزهد» (١٢٦) بإسناد حسن لحال هشام بن سعد.

(٢) «أدب الدنيا والدين» (ص٢٩٢).

(٣) «روضة العقلاء ونزهة الفضلاء» (ص٦٢).

بنفسه، فقد تمت خسارته»[١].

تذكر القبر يقي العبد من الكبر:

قال سفيان بن عيينة:

«كان يقال: دع الكبر والفخر، واذكر طول الثواء في القبر»[٢].

مشقة علاج الكبر:

قال أبو هاشم:

«لفلح الجبال بالأبر، أيسر من إخراج الكبر من القلوب»[٣].

أعلى درجة في الكبر وأدناها:

قال الجنيد بن محمد:

«أعلى درجة الكبر وشرها أن ترى نفسك، ودونها وأدناها في الشر أن تخطر ببالك»[٤].

ومن شؤم الكبر يحرم صاحبه من العلم:

عن مجاهد، قال: إن هذا العلم لا يتعلمه مستحي ولا مستكبر[٥].

---

(١) أخرجه الخرائطي في «مساوئ الأخلاق» (٢/ ١٠٣) بإسناد حسن.

(٢) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٢٨٣) بإسناد صحيح عنه.

(٣) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٢٢٥).

(٤) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٢٧٣) بإسناد صحيح عنه.

(٥) علقه البخاري مجزوما به ووصله أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٢٧٣)، وغيره بإسناد صحيح عنه.

ذم الحسن البصري للكبر:

عن الحسن، قال: «كيف يتكبر من خرج من سبيل البول مرتين»[1].

وفي رواية:

قال: العجب لابن آدم يغسل يده بالخرء مرتين، ثم يتكبر يعارض الله عز وجل جبار السماوات والأرض[2].

قال محرز بن الفضل الرازي[3]:

يا أيها المختال في عطفه ... هل لك أن تنظر في القبر

حتى تراه وترى حاله ... ثم ترى رأيك في الكبر

الكبر يورث الحقد، ويسلب الفضائل:

قال الماوردي:

«وليس إلى ما يكسبه الكبر من المقت حد، ولا إلى ما ينتهي إليه العجب من الجهل غاية، حتى إنه ليطفئ من المحاسن ما انتشر، ويسلب من الفضائل ما اشتهر، وناهيك بسيئة تحبط كل حسنة وبمذمة تهدم كل فضيلة، مع ما يثيره من حنق ويكسبه من حقد»[4].

---

(١) أخرجه المعافى بن عمران في «الزهد» (١٠٥) بإسناد صحيح.

(٢) أخرجها ابن أبي الدنيا في «التواضع والخمول» (٢٠٩) بإسناده.

(٣) «مساوئ الأخلاق» (٢/ ١١٣).

(٤) «أدب الدنيا والدين» (ص٢٩٢).

البراءة من الكبر تكسب الكرامة:

وقال بعض الحكماء:

«من برئ من ثلاث نال ثلاثا: من برئ من السرف، نال العز، ومن برئ من البخل نال الشرف، ومن برئ من الكبر نال الكرامة»[1].

الكبر يورث البغضاء:

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ:

«مَا اُسْتُنْبِطَ الصَّوَابُ بِمِثْلِ الْمُشَاوَرَةِ، وَلَا حُصِّنَتْ النِّعَمُ بِمِثْلِ الْمُوَاسَاةِ، وَلَا اُكْتُسِبَتْ الْبَغْضَاءُ بِمِثْلِ الْكِبْرِ»[2].

وَقَالَ بَزَرْجَمْهَرْ:

«وَجَدْنَا التَّوَاضُعَ مَعَ الْجَهْلِ وَالْبُخْلِ، أَحْمَدَ مِنْ الْكِبْرِ مَعَ الْأَدَبِ وَالسَّخَاءِ»[3].

* * *

(١) «أدب الدنيا والدين» (ص٢٩٨).

(٢) «الآداب الشرعية» (١/ ٤٠٣) لابن مفلح.

(٣) «الآداب الشرعية» (٢/ ٣٠٨)

أحاديث ضعيفة رويت في الكبر

الحديث الأول:

عن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**غيرتان: إحداهما يحبها الله، والأخرى يبغضها الله، ومخيلتان: إحداهما يحبها الله، والأخرى يبغضها الله، فالغيرة في الريبة يحبها الله، والغيرة في غير ريبة يبغضها الله، والمخيلة إذا تصدق الرجل يحبها الله، والمخيلة من الكبر يبغضها الله**»[(١)].

الحديث الثاني:

عن ابن عمر رضي الله عنهما، أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**تواضعوا وجالسوا المساكين، تكونوا من كبراء الله، وتخرجون من الكبر**»[(٢)].

الحديث الثالث:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ قال: «**إياكم والكبر، فإن**

---

(١) **ضعيف جدا:** أخرجه أحمد (٤/ ١٥٤)، والحاكم (١/ ٤١٨)، وابن خزيمة (ق ٢٥٠/ ٢) من طريق زيد بن سلام، عن عبد الله بن زيد الأزرق، عن عقبة بن عامر الجهني مرفوعاً به.
وقال الحاكم: «صحيح الإسناد» ! ووافقه الذهبي.
بل ضعيف جدا، لأن الأزرق هذا ذكره ابن حبان في «الثقات» وقال: كان قاصا لمسلمة بن عبد الملك بالقسطنطنية، ولم يرو عنه غير زيد بن سلام وهو أبو سلام الأسود، فهو مجهول.

(٢) **موضوع:** أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ١٩٧) وفيه خالد بن يزيد العمري كذبه أبو حاتم وابن معين وقال ابن حبان: يروي الموضوعات عن الأثبات، وضعفه موسى بن هارون.

الكبر يكون في الرجل، وإن عليه العباءة»[١].

الحديث الرابع:

عن محمد بن واسع، قال: قلت لبلال بن بي بردة، إن أباك حدثني، عن جدك، أن رسول الله ﷺ قال: **«إن في جهنم واديا في الوادي بئر، يقال له: هبهب حق على الله أن يسكن فيه كل جبار عنيد»**[٢].

---

(١) **ضعيف:** أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٤/ ٤٨٣) قال: حدثنا أحمد بن القاسم، قال: حدثني عمي عيسى بن المساور، قال: حدثنا سويد بن عبد العزيز، قال: حدثنا عبد الله بن حميد، قال: حدثنا طاوس، عن عبد الله بن عمر به. وفي إسناده سويد بن عبد العزيز، قال ابن معين: كان قاضيا بدمشق بين النصارى، وهو واسطي، انتقل إلى حمص، ليس حديثه بشيء. وقال البخاري: في بعض حديثه نظر. وقال أحمد وغيره: ضعيف. وعن أحمد أيضا: متروك، وقال الذهبي: واه جدا.

وقد تساهل المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤/ ١٦)، ثم الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٢٦)، ثم ابن حجر في «فتح الباري» (١٠/ ٤٩١) في قوله :«رواه الطبراني في «الأوسط»، ورواته ثقات» !.

(٢) **ضعيف:** أخرجه العقيلي في «الضعفاء» (٤٩) ، وابن عدي في «الكامل» (١/ ٤٢٠) من طريق الأزهر بن سنان، عن محمد بن واسع، عن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري عن أبيه مرفوعا. وفيه أزهر بن سنان ضعيف، وذكره الذهبي في «الميزان» وقال: «قال ابن عدي: ليست أحاديثه بالمنكرة جدا، أرجو أنه لا بأس به، وقال ابن معين: ليس بشيء. ثم ساق له أحاديث مما أنكرت عليه هذا أحدها.

وقد خالفه هشام بن حسان فقال: عن محمد بن واسع قال: بلغني أن في النار جبا يقال له: جب الحزن، يؤخذ المتكبرون فيحملون في توابيت من نار فيجعلون في ذلك البئر فيطبق عليهم جهنم من فوقهم». أخرجه العقيلي وقال: «وهذا حديث أولى من حديث أزهر».

الحديث الخامس:

عن أبي البختري، عن حذيفة ﵁، قال: كنا مع النبي ﷺ في جنازة فلما انتهينا إلى القبر قعد على شفته، فجعل يرد بصره فيه، ثم قال: «**يضغط المؤمن فيه ضغطة تزول منها حمائله، ويملأ على الكافر نارا، ثم قال: ألا أخبركم بشر عباد الله الفظ المستكبر، ألا أخبركم بخير عباد الله الضعيف المستضعف، ذو الطمرين لو أقسم على الله لأبر الله قسمه**»(١).

الحديث السادس:

عن أبي أمامة الباهلي ﵁، أن رسول الله ﷺ قال: «**اجتنبوا الكبر، فإن العبد لا يزال يتكبر، حتى يقول الله لأ اكتبوا عبدي هذا في الجبارين**»(٢).

---

(١) **ضعيف:** أخرجه أحمد (٥/ ٤٠٧) قال: ثنا موسى بن داود، ثنا محمد بن جابر، عن عمرو بن مرة، عن أبي البختري، عن حذيفة به. وفيه محمد بن جابر بن سيار بن طلق السحيمي الحنفي ضعيف، وأبو البختري سعيد بن فيروز لم يسمع من حذيفة ﵁، وأورده ابن الجوزي في «الموضوعات» (٣/ ٢٣١) وقال: «هذا حديث لا يصح، محمد بن جابر قال يحيى: ليس بشيء، وقال أحمد: لا يحدث عنه إلا من هو شر منه».

وتعقبه ابن حجر في «القول المسدد في الذب عن المسند للإمام أحمد» (١/ ٢٨) فقال: «ولكن مجرد هذا لا يدل على أن المتن موضوع فإن له شواهد».

(٢) أخرجه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٥/ ١٦٥) قال: حدثنا جعفر بن أحمد بن عاصم، ثنا هشام بن عمار، ثنا صدقة بن خالد، ثنا عثمان بن أبي عاتكة أبو حفص القاص، عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة الباهلي به. وقد استنكره ابن عدي على عثمان بن أبي عاتكة ووضعه في ترجمته، وقال: «وبهذا الإسناد ثلاثون حديثا حدثناه ابن عاصم عامتها ليست بمستقيمة»، وفيه على بن يزيد بن أبي هلال الألهاني ضعيف، وعليه فالإسناد لا يصح.

الحديث السابع:

عن أبي الزبير، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تجلسوا مع كل عالم، إلا عالم يدعوكم من خمس إلى خمس: من الشك إلى اليقين، ومن العداوة إلى المحبة، ومن الكبر إلى التواضع، ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن الرغبة إلى الزهد»**(١).

الحديث الثامن:

عن إياس بن سلمة بن الأكوع، عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين فيصيبه ما أصابهم»**(٢).

* * *

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٧٢)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٤/ ٣١١)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ٢٥٧) قال أبو نعيم: كان شقيق البلخي يعظ أصحابه، فقال: هذا فوهم فيه الرواة فرفعوه. قال الذهبي في «تلخيص كتاب الموضوعات» (ص٣١): «جاء بسند مظلم إلى شقيق عن عباد بن كثير عن أبي الزبير عن جابر»، قال ابن الجوزي: «هذا ليس من كلام رسول الله ﷺ».

(٢) **ضعيف:** أخرجه الترمذي (٢٠٠٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٧ / ٢٣) عن عمر بن راشد عن إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه مرفوعا. وقال الترمذي: حديث حسن غريب. ولكن فيه عمر بن راشد اليمامي ضعيف.

الفهرس


تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

مؤلفات المؤلف

❋ توقير السلطان والتأدب معه

❋ كشف الأوابد عند الخوارج والروافض وبيان أوجه التشابه بينهما والتناقض

❋ الإعلام بمفاسد الخروج على الحكام

❋ شرح الأصول الستة

❋ شرح القواعد الأربع

❋ شرح عقيدة البخاري

❋ شرح عقيدة الرازيين

❋ شرح لامية ابن تيمية

❋ شرح أصول السنة

❋ سوء أدب الخوارج مع أهل السنة

❋ عبد الله بن سلام رضي الله عنه وشيء من سيرته

❋ سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وشيء من سيرته

❋ أبو موسى الأشعري رضي الله عنه وشيء من سيرته

❋ جامع أحكام الأطعمة

❋ اللمع في ذم الطمع

❋ القول النافع في بيان خلق التواضع

❋ تحريم الغدر في الشريعة الإسلامية

❋ إتحاف النبلاء بخلق الوفاء

❋ ذم البخل في الشريعة الإسلامية

❋ حقوق الأبناء على الوالدين

❋ التعليق على الفقه الميسر وتحقيق

❋ إتحاف أهل السنة والجماعة بخلق القناعة

❋ تحقيق كتاب الزهد لإمام أهل السنة أحمد بن حنبل

❋ ❋ ❋